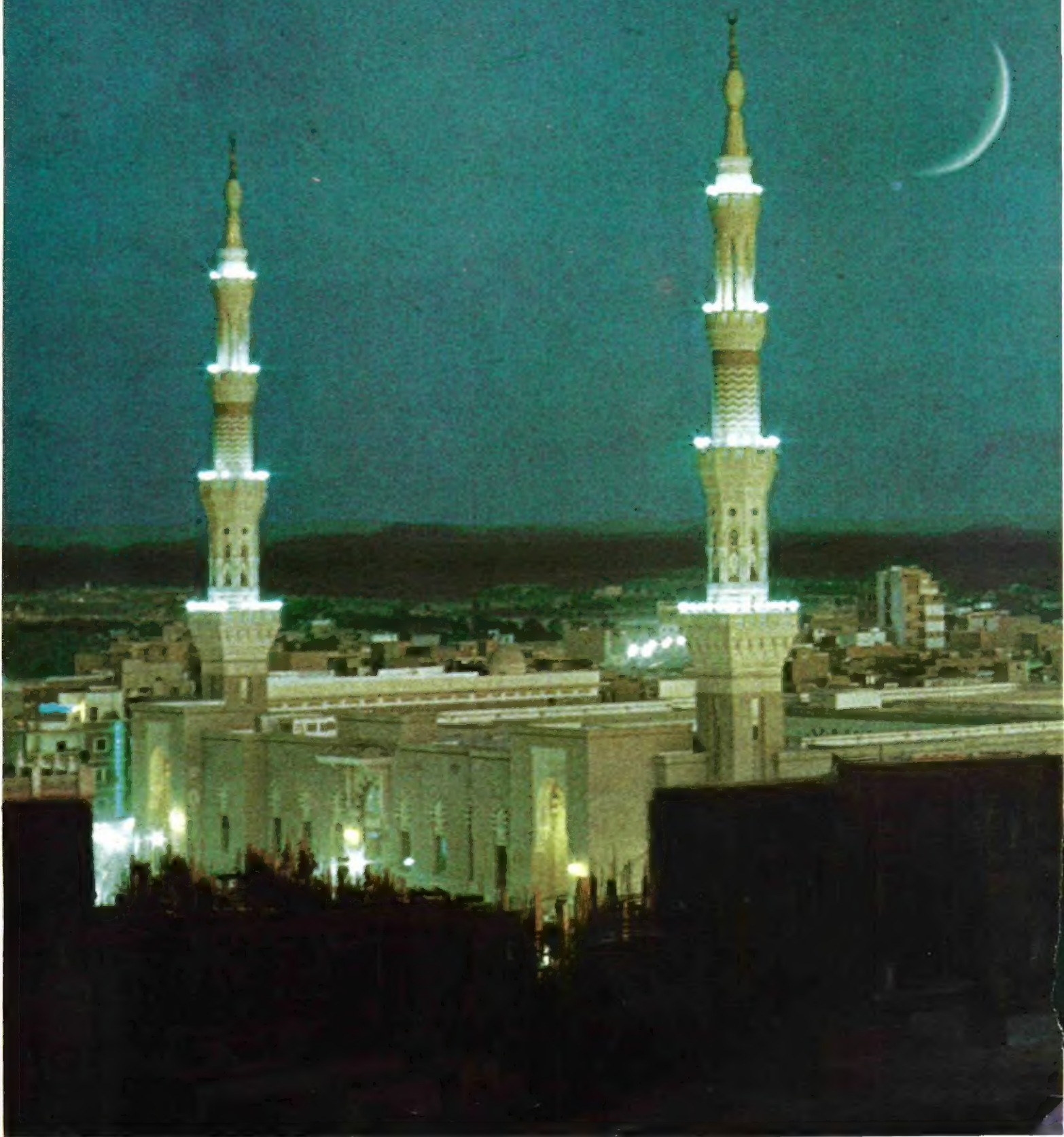


# قافلة الزيت

رمضان - ١٣٩٠ - نوفمبر - ١٩٧٠





تصدر شهرياً عن شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفيها  
إدارة العلاقات العامة  
توزع مجاناً  
العنوان صندوق البريد رقم ١٣٨٩ الظهران - مملكة العربية السعودية

## محتويات العدد

الصفحة

- ١  
٢ رمضان ، شهر الخير والبركات ..... عثمان إبراهيم الحجيل  
٣ من الاعجاز النفسي في القرآن ..... عبد الكريم الخطيب  
٥ الفقه الاسلامي وأثره في القوانين الوضعية ..... علي حافظ

### بحوث

☐

### آداب

☐

- ١٢ ايه يا بدر (قصيدة) ..... محمد رضا آل صادق  
١٧ صراع الناس مع معاني الكلمات ..... د. ابراهيم أنيس ..  
٣٩ معركة عين جالوت ..... عبد الحافظ كمال  
٤٢ تقوى القلوب (قصيدة) ..... أحمد ابراهيم الغزاوي  
٤٦ أخبار الكتب .....  
٤٧ أربعة أيام مع عبد المحسن الكاظمي (حصاد الكتب) ..... عبد العزيز الرفاعي

### عشاق

☐

- ٩ الحياة والانسان بين الذرة والمجرة ..... د. فؤاد صروف ..  
٢٢ سر الصنعة ..... د. رؤوف سلامة موسى  
٣٧ الخوف ، عدو الانسان الأكبر ..... د. زكريا ابراهيم

### استطلاعات

☐

- ١٣ الأثر العربي في أمريكا الجنوبية ..... عبد الله حشيمة  
١٩ لقاح للوقاية من مرض « التراحوما » ..... هيئة التحرير (دم)  
٢٥ الوجه .. الحسن ..... هيئة التحرير (سن)  
٤٣ منارات القرون ..... ناجي محفوظ  
٤٩ خط أنابيب القطيف - بقيق رقم « ٥ » ..... هيئة التحرير (عم)

## صورة الغلاف

المدير العام: مصطفى حسن النخاس المدير المسؤول: علي حريق ناديللي

رئيس التحرير: منصور مدني المحرر المساعد: عوني ابوكشك

يجوز اقتباس المواد التي تعدّها هيئة التحرير دون إذن مسبق مع ذكر القافلة كمصدر  
المواد التي نشرناها ونشر في القافلة لا تعتبر بالضرورة عن رأي هيئة التحرير

« فمن شهد منكم الشهر فليصمه »  
قرآن كريم



# رمضان، شهر الخير والبركات

لفضيلة الأستاذ عثمان إبراهيم الخليل

فإن ركعتين يقرأ فيهما المصل قرأة صحيحة ، ويحسن الركوع والسجود فيهما ، وتحصل فيهما الطمأنينة والخشوع لأفضل وأقرب إلى القبول من ركعات عديدة عارية من آداب الصلاة .

## مِنْ أَحْكَامِ الصَّوْمِ

يقول الله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر ، فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر . » في هذه الكلمات من كتاب الله ، يتجلى يسر الإسلام وسماحته في مشروعية الصيام وغيره من فرائض الدين ، وتنضح مقاصده الكريمة ، وأهدافه العظيمة .

فإن كان مقيماً قادراً على الصيام تعين عليه أن يصوم ، ومن كان مريضاً مرضاً لا يمكنه من الصيام ، أو كان الصيام يزيد في مرضه أو يؤخر شفاؤه ، أو كان مسافراً ، فلهما الإفطار وعليهما القضاء أياماً أخر . وفي هذا يسر وراقة بهما ورفع المشقة والخرج عنهما . فليس المقصود من الصيام الحرمان ، وإنما المقصود هو تحصيل التقوى العامة الشاملة ، وتربية النفوس وتعويدها على الصبر والجلد ، فتسهر عن الرذيلة وتصحى في سبيل الحق والدين ، وتسهر بأرواحها إلى الخير والاطمئنان .

وإذا كان المريض بما لا يؤمل شفاؤه سقط عن المسلم الصيام ، ووجبت عليه الكفارة : طعام مسكين عن كل يوم ، ومثله الشيخ الكبير العاجز عن الصيام .

وكذلك المرأة الحامل والمرأة المرضع يباح لهما الإفطار في شهر رمضان إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما وعليهما القضاء . فإن كان خوفهما على ولديهما فقط وجب على من يقوم بنفقة الولد كفارة طعام مسكين عن كل يوم .

كما حرمت الشريعة على الخائض والنفساء أن تصوما وعليهما القضاء ، وفي هذا رفق بهما ورفع للخرج عنهما .

وحثت الشريعة على تعجيل الفطر واعتبرته إحدى فرحتي الصائم « للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه » ، وندبت إلى تأخير السحور ورغبت فيه .

كما دعت إلى تقديم الفطور للصائم ورغبت فيه ، وجعلت لفطره مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء .

فالتقرب إلى الله ، بترك الأكل والشرب والشهوة ، لا يكمل إلا بترك المحرمات ، والإفطار على حلال . فهذا من أقوى الأسباب لاستجابة الدعاء وإقبال النفس على طاعة الله وابتغاء مرضاته .

وفي الصيام فوائد صحية ، ففيه أراحة للمعدة التي هي بيت الداء في الجسد . وبعض الناس لا يستفيدون من صيامهم صحياً ، فتجدهم إذا أفطروا أسرفوا في المأكولات والمشروبات ، وحملوا أنفسهم ما لا تطيق . ولو اجتنب الصائم الاسراف في الأكل والشرب عند افطاره لسلمت له صحته ، واستفاد من صيامه في نهاره .

هذا ، وأن أسهل الصيام ترك الأكل والشرب ، فهناك ما هو أعظم منه ، ألا وهو البعد عن قول الزور ، والعمل به . وهو كل قول محرم أو فعل محرم . وفي الحديث « إذا كان يوم صيام أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : اني صائم » .

والصيام سر بين العبد وبين ربه فلا يدخله الرياء . ولهذا تولى الله جزاء الصائمين بنفسه تكريماً منه للصائم . ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ، صل الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به » .

## الجود والسخاء وقراءة القرآن

وشهر رمضان شهر الجود والتوسعة على المعوزين ، فلقد كان رسول الله صل الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان . وفي رمضان يؤكد أحياء سنة النبي الكريم محمد صل الله عليه وسلم بمدارسة القرآن الكريم ، وتدبر آياته والعمل به ، وتحليل حلاله وتحريم حرامه ، وإطلاق الألسن بالذكر والاستغفار .

هذا وإن صلاة الليل وقيام ليالي رمضان من أفضل القربات عند الله حيث ترجى ليلة القدر ، ولا سيما في العشر الأواخر . ولقد كان رسول الله ، صل الله عليه وسلم ، يقوم الليل في شهر رمضان وفي غيره ، ويقرأ القرآن قراءة مرتلة ، لا يمر بآية فيها رحمة إلا سأل ، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ . فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكير . وما تلقاه الخلف عن السلف صلاة التراويح التي يصلحها الصائم في ليله فيجد فيها متعة روحية تزكو بها نفسه وتنهأ عن الفحشاء والمنكر . وينبغي القيام بأداب الصلاة ،

تستقبل الأمة الإسلامية في مشارق الأرض

ومغاربها شهراً كريماً ، هو شهر رمضان المبارك .. شهر الصوم والرحمة والمغفرة والصبر والمواصلة .. شهر ترتفع فيه النفوس المؤمنة عن مستوى الماديات والشهوات إلى مكان رجب ليسج من الروحانيات والتأملات ، وتحظى فيه بشتى الدروس والعبر والعظات . كتب الله على المؤمنين الصيام فيه وفرضه ، وجعله أحد أركان الإسلام الخمسة ، ومن فيه قيام ليله ، وحث على الطاعات فيه ، ووعده بمزيد الأجر .. فتضاعف فيه الحسنات ، وتكفر السيئات ، وتستجاب الدعوات ، ويعظم فيه رجاء العباد وتتسع آماهم . فمن أدى فيه نافلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه .

اختص الله شهر رمضان بمزايا ليست لغيره . فهو سيد الشهور وأفضلها ، إذ أنزل فيه القرآن « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » . ونصر الله فيه الإسلام وأعزه وأظهره ، وأذل الشرك وأهله وغدله بموقعة بدر الكبرى . وفيه تم فتح مكة المكرمة ، موطن بيت الله العتيق وحرمة الأمن ، فدعاه رسول الله صل الله عليه وسلم قوماً متحصراً بعد أن أخرجه منها قومه . وفي رمضان ليلة القدر التي هي « خير من ألف شهر » ، تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم .

لما أعظمها من حوادث وما أقدسها من مزايا لها شأنها العظيم ، ونتاجها المثمرة البناءة في تاريخ الإسلام والمسلمين . وكلها ، مع حوادث أخرى ومزايا عديدة مما اختص به شهر رمضان ، تؤكد لقيسته وعظيم بركاته وعبراته على الأمة الإسلامية . وفي هذا الشهر المبارك يغفر الله لعباده إلا لمن أبى أن يستغفر ربه . وقد دعا فيه رسول الله ، صل الله عليه وسلم ، وكرر الدعاء بالأبعاد من رحمة الله لمن أدرك شهر رمضان ، فلم يغفر له فيه .

## الصَّيَّامُ بَيْنَ الْعَادَةِ وَالْعِبَادَةِ

من الناس من يتخذ الصوم مجرد عادة لا أثر لها في تهذيب نفسه وغرس الفضيلة فيها والبعد بها عن المحرمات . ومنهم من يهتم بصيامه ، ويتناسى صلاته ، ولو كان للصوم أثر في نفسه لحافظ على الصلاة . وفي الحديث « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ورب قائم حظه من قيامه السهر » .



# من الأعجاز النفسى فى القرآن

بقلم الأستاذ عبد الكريم الخطيب

ومع هذا اليأس القاتل ، فإن شدة البلاء ، تحمل المجرمين على أن يفزعوا الى أي مفزع ، وأن يتجهوا الى أي متجه .. انها محاولات لا بد منها ، وحركات تجري في مسار النفس ، دون أن تتخذ لها طريقا عمليا ، حيث اليأس المطبق ، الذي لا يلوح في سمائه المتجهمة بصيص من أمل ، أو لمعة من رجاء !

ونظر في هذه الصورة المعجزة التي صورها القرآن الكريم لمسارب النفوس ، ومجرى الخواطر في زحمة هذا المعترك الضنك ، الذي تبلغ فيه القلوب الحناجر ، وتزدحم فيه النفوس على الخلاقم. لو قدر لأدق آلات التصوير أن تدخل الى عالم النفس ، فترصد حركاتها ، وتكشف عن خفاياها ، لما أمكنها أن تأتي بما يقرب من تلك الصورة القرآنية ، دقة ، واحكاما وصدقا ، واحاطة بما تكن الضمائر ، وما تخفي الصدور ..

يقول الله تعالى : « يودّ المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه ، وصاحبه وأخيه ، وفصيلته التي تؤويه ، ومن في الأرض جميعا لم ينجيهِ . كلا انها لظى ، نزاعة للشوى ، تدعو من أدبر وتولى ، وجمع فأوعى » .

لذعة العذاب لتخرج المرء عن نفسه ، وتجعل أعضائه يرمي بعضها بعضا ، ويتقي بعضها بعض . لا شيء هنا يحرض عليه المرء أو يستبقه لغده . وإن أقرب شيء اليه وأعزه الى نفسه ، ليقدمه - في غير وعي - ليدفع به العذاب الذي يرعى في كيانه . وأنه ليودّ في تلك الحال ان لو كان بين يديه أبنائه .. إذن لقدّمهم فدية يتقى بها هذا العذاب ، ولجعلهم درية له يتلقون عنه أسنة الهم . ولكنه اذ يلقي بأبنائه في السعير ، ثم لا يجد فيهم غناء ، يمد يده الى أقرب الناس اليه بعد أبنائه ، وهي زوجته ، وأم بنيه ، وصاحبه التي سكن اليها ، وتعلق قلبه بها . ولكنها لا تغني عنه شيئا ، فليلق الى النار بأخيه ، ثم أهله

وفي آملها وأسها ، وفي كل ما يعرض لها من شئون الحياة ، وما تتقلب فيه من أحوالها ، يجدون في القرآن الكريم ، أدق وأروع وأصدق ، ما كشف العلم من أسرار النفوس وخفاياها ، في تصوير معجز ، وفي بيان محكم ، وفي صدق مطلق . لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ..

وحسبنا في هذا المقام أن نقف بين يدي مشهد من مشاهد القرآن ، نرى فيه حالا من أحوال النفس ، وموقفا من مواقفها في تلقي حدث من الأحداث ، وتفاعلها به ، ومعالجتها له ..

• • •

**الفرد** من الخطر ، وطلب النجاة من مواطن الهلاك ، غريزة في الكائن الحي ، يقوم عليها بقاؤه وحفظ نوعه . وأنه حين يفقد الكائن الحي فعالية هذه الغريزة ، يفقد الحياة ، في أولى خطواته على طريقها ، سواء في ذلك الانسان ، أو الحيوان ، وحتى النبات ..

وأكاد أقول والجماذ أيضا !! والانسان ، بما فيه من عقل وذكاء ، قد مكن لهذه الغريزة في كيانه ، وأقام منها حارسا يقظا عليه ، ووضع بين يدي هذا الحارس أكثر من سلاح يدفع به أي خطر يقع ، أو يتوقع أن يقع !

وفي الآخرة أحوال تشيب منها الولدان ، وشدايد تأخذ بالنواصي والاقدام . وفي هذا الموقف الرهيب ، وبين يدي هذا الهول المهول ، يساق المجرمون الى حيث يرون رأي العين مصيرهم الذي هم صاثرون اليه ، والمنزل الذي سينزلونه .

ان القلوب لتخلع من هذا الهول ، ان كانت هناك قلوب لم تذهب بها مطالع الأهوال ، ولم تفتتها الآلام والخسرات .. انها حال لا يمكن أن تتصورها العقول ، ولا أن يحيط بها وصف ، لأنها مما لن يقع الا في هذا اليوم العظيم .

وأين المفر ؟ انه لا مفزع من البلاء الا الى البلاء ..

**توحيده** الرسالة الاسلامية الوجود الانساني كله ، فيما احتواه من زمان ومكان ، وفيما أودع الخالق فيه من مدركات ومشاعر وأحاسيس ، لتقوده الى الحق والخير ، ولتبلغ به منازل الأمن والسلامة في الدنيا والآخرة . وإن رسالة هذا شأنها ، وتلك غايتها ، لا بد أن يكون بين يديها هذا السلطان المين الذي تسوس الناس به ، وتقيمهم على احترامه والولاء له ، في السر والعلن ، وفي الغيبة والحضور .

والنفس الانسانية - وما يدور في فلكها ، من مدركات ، ومشاعر ، ووجدانات - هي القوة العاملة في الانسان ، والشراع الذي يتلقى مهاب الرياح التي تهب على سفينته ، فتتجه به يمينا أو شمالا . ومن هنا كانت دعوات زعماء الاصلاح ، وقادة الانسانية تتجه دائما الى مخاطبة الانسان من خلال نفسه ، وتلقاه على مستوى فطرته التي فطره الله عليها . ولا شك أن نجاح أية دعوة يدعى الناس الى الأخذ بها ، والتجاوب معها ، مقدور بقدر رعايتها لسرائر النفوس ، وتعرف الطريق اليها ، وحسن اختيار اللغة التي تخاطب بها .

والقرآن الكريم هو دعوة الله للناس ، وكلماته اليهم للإيمان به ، والعمل بشريعته ، والأخذ بأحكامه ووصاياه ، وهو ميراث المسلمين ، والرسول القائم فيهم أبد الدهر ، والحجة الغالبة لكل هوى ، الفاضحة لكل ضلال ، بما في آياته وكلماته من تأثير نافذ الى كل نفس ، آخذ بكل شعور بحيث لا يتأبى عليه الا من انتكست انسانيته ، وفسدت معالم فطرته . وليس هذا السلطان المتمكن من النفوس للقرآن الكريم ، الا لأنه كلام الله ، الذي خلق هذه النفوس ، وهو القائم عليها ، والعليم بأسرارها ، البصير بمسارب مشاعرها وأحاسيسها .

والدارسون للنفس الانسانية ، والراصدون لأحوالها في رضاها وغضبها ، وفي سكوتها وهياجها ، وفي مسراتها وآلامها ، وفي نعيمها وبؤسها ،



وعشيرته ، ثم بكل من تطول يده من قريب وبعيد .. ثم لا يزال هذا حتى يأتي على كل ما في الأرض من أنفوس وميتات !  
ان هذا الترتيب المتتابع في تقديم ضحايا الفداء ، لا يمكن أن يقع على هذا الوجه ، الا بحساب دقيق محكم لاتجاهات النفس ، والا بتقدير واقعي لارتباطها الشعوري بكل ضحية تضحي بها في هذا المقام .

**وقد** يبدو غريبا - في ظاهر الأمر - أن يقدم الانسان أول ما يقدم من ضحايا الافتداء لنفسه ، أعز من لديه ، وهو أبناؤه ، الذين هم فلذة منه ، وبضعة من كيانه .. وقد كان المتوقع أن يضن بهم ، أو أن يجعلهم آخر سهم يرمى به في وجه هذا الهلاك الذي يحتويه ! وهذا الحساب انما يجري على هذا الوجه ، حين تكون الأمور على ما ألف الناس ، وحين يكون في الأمر سعة . وهل ينتظر من الانسان في مزدحم هذا الهول أن يعرف ضوابط ومعايير ، أو يرجع الى مشاعر وعواطف ، أو يجد فرصة للاختيار والموازنة ؟ ان أقرب شيء الى الانسان في هذا الموقف ، هو درعه التي يتقي بها لفح هذا العذاب ، ولو كان عضوا من أعضائه ، كما يتلقى بيده - من غير وعي - ما يرمى به في وجهه من قذفة حجر أو ضربة سيف ! ولكن انظر حين يكون في الأمر شيء من السعة ، وحين يكون الانسان خارج دائرة العذاب ، لم يقع فيه بعد . انه يجري على عكس هذا تماما . وشاهد هذا ما نجده في قوله تعالى : « يوم يفر المرء من أخيه ، وأمّه وأبيه ، وصاحبه وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » . فالانسان هنا اذ يحل عقد الروابط بينه وبين هذه الأعضاء المتصلة به ، يبدأ بأبعدها عنه ، فيحلها عقدة عقدة ، حتى لا يبقى له غير نفسه . هنا حركة فرار من خطر داهم . وأول ما يلتفت اليه الانسان هنا هو نفسه لينجو بها ، فان راوده الأمل ، ونازعته نفسه الى حمل شيء معه ، كان نظره معلقا بأعز شيء عنده ، فحمل كل ما قدر عليه ، فان هو وجد فرصة النجاة ضيقة ، تخفف مما حمل ، ورمى بالعزير دون الأعز ، حتى اذا ضاقت الدائرة فلم تسع الا لنفسه رمى بكل شيء ، وطلب السلامة لنفسه ، والنجاة بجلده !

ان النفس هنا تأخذ حركة شعورية مع الأهل والأقارب ، على عكس الحركة التي أخذتها في موقع البلاء وقد علقت بها ، وأنشبت أظافره فيها ..

فيفرّ أولا من أخيه ، ثم أمه وأبيه ، ثم صاحبه ، ثم بنيه .. فهذا موقف ، وذلك موقف ، هذا فرار من خطر مطارد ، وذلك صراع مع خطر واقع .. وللنفس مع كل من الحالين حال ، ومع كل من الموقفين اتجاه .

**سيقول** علماء البلاغة عن العطف الملتزم بالواو : « ان الواو لا تفيد ترتيبا ، ولا تعقيبا ، فهي للعطف الجامع بين المتعاطفات ، دون أن يكون لتقديم المتقدم أو تأخير المتأخر دلالة أكثر من مجرد الجمع مع ما عطف عليه » . وربما كان هذا حقا ، في مجال الكلام العادي . أما في القرآن الكريم فان الواو تجريء في أغلب مواقع العطف مفيدة الترتيب والتعقيب ، فتجعل للمتقدم رتبة ووضعاً غير وضع المتأخر . فهما وان اشتركا في الحكم ، لا تقع التسوية بينهما فيه ، وتلك خاصة من خصائص البيان القرآني ، وسر من أسرار البلاغة . وهذا أبو بكر - رضي الله عنه - يقيم حجته على الانصار بتقديم المهاجرين عليهم من قوله تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار » فيقول لهم : « أسلمنا قبلكم ، وقدمنا في الكتاب عليكم » وقد سلم له الانصار بهذه الحجة ، ولم ينازعه فيها .

ثم لعل سائلا يسأل : اذا كان هذا الترتيب الذي جاء على الصورتين السابقتين ، لازما ، فلماذا لم يجيء العطف بالفاء ، ليكون ذلك أدل على المراد ، وأبلغ في بيان المطلوب ، وأقطع لكل احتمال ؟

ونقول لعل أول ما يبدو من ايثار النظم القرآني للعطف بالواو هنا ، هو أن العطف بالواو في هذا المقام ، يتسع لتحقيق المعنى الذي تتحقق به الموافقة للواقع ، والمطابقة لمقتضى الحال .. ذلك أن هذا الترتيب الذي جاء عليه النظم القرآني في التخلي عن الأعزاء ، أو في التضحية بهم ، لا يقع بهذا الترتيب ، على تلك الصورة التي تقع في الحياة ، حين يكون للمرء فرصة للاختيار ، فيقدم ويؤخر ، فيما يتخلى عنه ، أو يقذف به واحدا بعد واحد . لكن شدة الهول لا تدع له فرصة لعزل هذه الضحايا بعضها عن بعض ، وانما هو يتخلى عنها جميعا مرة واحدة ، ويقذف بها جميعا دفعة واحدة .. ولكنها مع هذا الحشد لها جميعا ، تأخذ هذا الوضع في الترتيب الذي جاء عليه نظم القرآن . فالعطف بالواو ، وبالواو وحدها ، هو الذي يحقق هذه الصورة المجتمعة

المتفرقة في آن ، وذلك لأن الواو لمطلق الجمع من جهة ، ولترتيب بين المتعاطفين من جهة أخرى .. وليس بين متعاطفيها امهال ملتزم ، كما يكون ذلك بين المتعاطفين بالفاء ، أو ثم .

**تقول** الآيات الكريمة : « يود المجرم أن يقتل لو يقتل من عذاب يومئذ بينه ، وصاحبه وأخيه ، وفصلته التي تؤويه ، ومن في الأرض جميعا ثم ينجي »

فتضع هؤلاء الضحايا جميعا على مذبح الفداء مرة واحدة ، ثم هي مع هذا تضعهم بهذا الترتيب فيما يشبه الزمن العددي !

وتقول الآيات الكريمة : « يوم يفر المرء من أخيه ، وأمّه وأبيه ، وصاحبه وبنيه » .. فتفرض على المجرم الفرار من وجه العذاب أن يرمي بكل هؤلاء جميعا دفعة واحدة ، ولكن - وبتدبير معجز - يرمي بهم على هذا الترتيب .. فهو يفر من أهله جملة واحدة ، لا يفصل بين أفرادها زمن ، ولكنها جملة مفصلة ، تمر في أسرع من آنات الزمن !

ولو أن العطف وقع بالفاء ، أو ثم في الموقفين ، لكان في هذا الترتيب فواصل زمنية لازمة ، لا يحتملها الموقف ، ولا يحكيها واقع الحال .. وبالإضافة الى ذلك فان الطبيعة البشرية في مجموعها ، تجري على هذا الترتيب الذي جاءت عليه الآيات في الموقفين ، في مقام المفاضلة بين الأهل والولد : الابن ، فالزوج الصاحبة ، فالأب ، فالأم ، فالأخوة ، فالأهل والعشير . ولكن هناك حالات خاصة تقضي بأن يكون لبعض الناس موقف خاص من هذا الترتيب ، فيقدم ما حقه التأخير ، ويؤخر ما حقه التقديم ، لانحراف في التفكير ، أو فساد في الطبيعة ، أو فتور في العلاقة ، أو غير هذا ، مما يغير وضع العلاقة الطبيعية بين المرء وأقاربه . وانه لو جاء العطف بالفاء ، أو ثم ، لكان هذا الترتيب حكما ملزما للناس جميعا ، أن يأخذوا به ، وأن يجروا عليه ، ولكان غير صادق كل الصديق ، ولوجد من الناس من يخرج عليه . أما العطف بالواو فانه يتسع لقبول مثل هذه الأحوال العارضة على الطبيعة البشرية ، حيث أن العطف بها لا يفيد الترتيب الملزم .. فهي - أي الواو - تفيد الترتيب المطلق ، من جهة ، وبذلك تحقق الحكم العام الذي يجري عليه معظم الناس ، ثم لا تفيد الا لزام من جهة أخرى ، فتسمح لذوي الطابع المنحرف أن يأخذوا بأي ترتيب يجري مع طبيعتهم ■



# الفقه لله سدي وإثره في القلوب بين الوضعيّة\*

بقلم الاستاذ علي حافظ

## الفقه واصوله

الفقه ، لغة : الفهم . قال جل وعلا : « وطع على قلوبهم فهم لا يفقهون » وقال تعالى : « فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين » .

وفي الاصطلاح خصص بالفقه « علم فروع الشريعة » . وسمي العالم به « فقهيا » .

وعرفت مجلة « الأحكام العدلية » ، التي وضعت في العهد العثماني ، الفقه في المادة الأولى بأنه « علم بالمسائل الشرعية العملية » .

وعرف الفقهاء الفقه بتعريف أتم وأشمل ، فقالوا : « الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية المكتسب من أدلتها التفصيلية » . ويقصد العلماء بالمكتسب من الأدلة - اسناد الأحكام - بالنظر والاستدلال - الى مأخذها والمصادر التي تؤيدها ، وتبنيها .

وفي « تاج العروس » للفيروز أباذي أن الفقه ، لغة : الفهم ، واصطلاحا : العلم بالشريعة أصولا وفروعا ، ثم خصص بعلم الفروع ، ويراد

به العلم بالأحكام الشرعية المأخوذة من أدلتها التفصيلية .

وللفقه أصول ، ولهذه الأصول علم . وهذا العلم يبحث في الأدلة الشرعية ، واستنباط الأحكام منها . وهذه الأدلة هي أصول التشريع الاسلامي ومصادره ، وهي : القرآن الكريم ، والسنة المحمدية ، والاجماع ، والقياس .

## الشرع الاسلامي

الشريعة ، أو الشرع الاسلامي هو ما شرعه الله سبحانه وتعالى . قال تعالى « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا ، والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى » ، وقال جل وعلا « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ، وقال : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها » .

فالشرع الأول هو الله . والشريعة الاسلامية ، مصدرا ، واحكاما ، شريعة الهية لم تكن من وضع البشر . والفقه الاسلامي مقتبس من هذه الشريعة السمحاء . ففي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان القرآن الكريم وحديث رسول الله هو مرجع الأحكام والقضاء بين المسلمين .

## القياس

أما القياس فقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يلجأون اليه عندما يكونون بعيدين عن رسول الله ، وفي أسفارهم . فاذا عادوا اليه عرضوا أفهامهم واجتهاداتهم عليه ، فيقرهم ، أو يخطئهم ، أو يصحح لهم . ويسمون القياس فهما ، أو رأيا أو اجتهدا .

وبعد عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يشاوران الصحابة فيما يشكل عليهما . فان لم يعرف أحد منهم شيئا عن النبي صلى الله عليه وسلم اجتهدا بأرائيهما في الحكم بما يشبه أقضية رسول الله ، عملا بالقياس الذي شرعه صلى الله عليه وسلم . ولندكر قصة القاضي الصحابي « معاذ بن جبل » رضي الله عنه والتي رواها بنفسه ، كما وردت في « الطبقات الكبرى » لابن سعد . قال معاذ بن جبل : لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن ، قال لي : بم تقضي ان عرض قضاء ؟ قال : قلت : أقضي بما في كتاب الله . قال : فان لم يكن في كتاب الله ؟ قال : قلت :

\* المقصود بالقوانين الوضعية هي القوانين التي تسنها الدول للقضايا المدنية والجناحية والحقوقية والادارية وغير ذلك من القوانين .



أقضي بما قضى به الرسول . قال : فإن لم يكن فيما قضى به الرسول ؟ قال : قلت : أجتهد برأيي ولا آلو . قال : فضرب صدري ، وقال : الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله .

## الإجماع

روى مالك بن أنس عن علي بن أبي طالب أنه قال : قلت « يا رسول الله الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه القرآن ، ولم تمض فيه منك سنة ؟ فقال : اجمعوا العالمين من المؤمنين فاجعلوه شوري بينكم ، ولا تقضوا فيه برأي واحد » كما ورد في « اعلام الموقعين » لابن القيم .

وبعد عهد الخلفاء الراشدين وتوسع الفتوح الإسلامية دعت الحاجة الى معرفة ما اتفق عليه فقهاء الصحابة ، وفقهاء التابعين الذين أدرکوا أصحاب رسول الله من الثقات ، لأنهم هم الراسخون في فهم الشريعة ، وبذلك أصبح الاجماع مصدرا من مصادر الأحكام ، فإن لم يثبت نقله وروايته في قضاء لجأ الفقهاء الى الاجتهاد والرأي ، وهو المسمى بالقياس ، والاستحسان . فالاجماع لم يكن مصدرا فقهيا الا بعد عهد الرسالة . وقد سبقه القياس كما تقدم .

وقد اتفق علماء أصول الفقه وأئمة المسلمين اتفقوا بأن نصوص القرآن مقدمة على ما سواها ثم نصوص سنة رسول الله ، ثم الاجماع ، ثم القياس .

## أصول، وقواعد، وأحكام

وقد علم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك للمسلمين فقها مدونا ، بل ترك أصولا ، وقواعد ، وأحكاما مبثوثة في القرآن الكريم وفي السنة المحمدية . وهذه الأصول ، والقواعد ، والأحكام على أكل ما يتصوره الانسان مرونة واستيعابا لشتى المفاهيم التي يدعمها ويؤيدها العقل والمنطق ، والعدالة .. وفيها استعداد للتكيف مع الحوادث الكبرى والجزئية ، بحيث يمكن أن يتولد منها فقه عادل لا حدود له .

ولنضرب بعض الأمثال لذلك ، فقد جاء في القرآن الكريم : « ولا تزر وازرة زر أخرى » ، « وان ليس للانسان الا ما سعى » ، « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ، « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » ، « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ، « أمرهم شورى بينهم » ، « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » ،

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإبناؤ ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » ، « ولا يجرمكم شأن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى .

وجاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » ، « انما الأعمال بالنيات » ، « الولد للفراش » ، « الأمانة مؤداة » ، « والزعيم غارم » ، « البيعة على من ادعى واليمين على من أنكر » .

فهذه نماذج حية ناطقة من الكليات والنصوص والأصول التي انتشرت في كتاب الله وحديث رسول الله ، وعكف عليها العلماء والفقهاء فكان منها الفقه الاسلامي .

## العهد النبوي للفقه الاسلامي

ولقد شهدت الفترة الممتدة من القرن الأول الهجري الى أوائل القرن الثاني الهجري عهدا تأسيسيا للفقه الاسلامي ، فقد تفرق علماء الصحابة في أوائل عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في الأقطار الاسلامية ، وسكنوا مختلف الأمصار ، وحملوا معهم الى اليمن ومصر والعراق والشام حديث رسول الله وأحكام الشريعة . قال ابن القيم : « الفقه انتشر في الأمة عن أصحاب ابن مسعود في العراق ، وأصحاب زيد ابن ثابت وابن عمر في المدينة ، وأصحاب ابن عباس بمكة ، وكان لكبار الصحابة كعمر ، وابن مسعود ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أثر بالغ في البلاد التي حلوا فيها ، فتكونت من اجتهاداتهم ، وعلمهم بالشريعة مدارس الفقهاء المختلفة كمدسة سعيد بن المسيب في المدينة ، ومدسة عطاء بن أبي رباح في مكة ، ومدسة ابراهيم النخعي في الكوفة ، ومدسة الحسن البصري في البصرة ، ومدسة مكحول في الشام ، ومدسة طاووس في اليمن .

ومن هؤلاء وأمثالهم ومن جاء بعدهم من تابعي التابعين أخذت مذاهب الفقه بالظهور ، فكل واحد من هؤلاء تأثر بفقه من لازمه من صحابة رسول الله وتابعيه .

## المذاهب الأربعة

ومن أوائل القرن الثاني الهجري الى منتصف القرن الرابع الهجري نشأت مذاهب واجتهادات فقهية ، منها المذاهب الأربعة ، وهي للأئمة : أبي حنيفة النعمان (٨٠ - ١٥١هـ) ، ومالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩هـ) ، ومحمد بن ادریس

الشافعي (١١٥ - ٢٠٤هـ) ، وأحمد بن حنبل الشيباني (١٦٤ - ٢٤١هـ) .

وفي خلال هذا العهد نفسه بدأ تدوين الفقه الاسلامي تدوينا علميا ، ومن أقدم كتبه كتاب « محمد بن الحسن الشيباني » تلميذ أبي حنيفة ، وكتاب « الموطأ » للإمام مالك ، وكتاب « الأم » للشافعي . وبدى في هذا العصر أيضا بتدوين أصول الفقه ، وأول كتاب ألف في علم أصول الفقه « رسالة الأصول » للأمام الشافعي .

ثم بدأ بعد ذلك دور الركود في حركة الاجتهاد ، واعتمد الفقهاء وطلابو الفقه ودارسوه على مذاهب المجتهدين ، ومنها المذاهب الأربعة ، وكان ذلك خلال الحقبة الممتدة من القرن الرابع الى منتصف القرن السابع ، ونبع في كل مذهب فقهاء كبار تناولوا المذاهب بالدراسة والترتيب والتعليق .

وأدى اعتمادهم على هذه المذاهب الى قفل باب الاجتهاد الذي فتحه العلم والعقل ، والبحث والأمانة والاخلاص على مصراعيه ، وذلك لتقاصر اهتمهم عن البحث والاستنباط .

وفي الفترة الممتدة بين القرن السابع والثالث عشر الهجريين لجأت الدولة العثمانية الى تأليف لجنة لوضع مجموعة من قواعد المعاملات من فقه مذهب أبي حنيفة الذي كان عليه عمل الدولة ، ورُبّت مباحثها على الأبواب الفقهية المعروفة ، وجعلت الأحكام في مواد ليسهل الرجوع اليها ، فكانت مواد المجلة ١٨٥١ مادة . وفي هذه المرحلة أخذت الأنظمة الغربية وقوانينها تغزو بلاد المسلمين ، وفتن بها المسلمون بجعلهم بكنوز فقههم القضائية من جهة ، ولشغفهم بالجديد الوافد دون دراسة وتفهم . ولما أخذ المسلمون يدرسون القوانين الوضعية ويقارنونها بالفقه الاسلامي ، عرفوا ما في هذا الفقه من خصوبة وقدرة ، فأخذوا يدعون للرجوع اليه ، ونبذ القوانين الوضعية .

## وزن الفقه الاسلامي في العالم

وفي عام (١٣٧١هـ - ١٩٥١م) عقدت شعبة الحقوق الشرقية من المجمع الدولي للحقوق المقارنة مؤتمرا في كلية الحقوق ، بجامعة باريس للبحث في الفقه الاسلامي تحت اسم « أسبوع الفقه الاسلامي » برئاسة المسيو « ملو » أستاذ التشريع الاسلامي في كلية الحقوق بالجامعة نفسها ، دعت اليه عددا من أساتذة كليات الحقوق العربية وغير العربية ، ومن الجامع الأزهر ومن المحامين



الفرنسيين والعرب وغيرهم ، ومن المستشرقين . وقد حاضر المؤتمر في خمسة موضوعات فقهية رئيسية عينها مكتب المجمع الدولي للحقوق المقارنة في الحقوق الخاصة والعامة ( المدنية ، والجنائية ، والاقتصادية ، وفي تاريخ التشريع ) . وكانت تلك الموضوعات تلتخص في اثبات الملكية ، والاستملاك للمصلحة العامة ، والمسؤولية الجنائية وتأثير المذاهب الاجتهادية بعضها في بعض ، ونظرية الربا في الاسلام . وفي أعقاب كل محاضرة كانت تجري مناقشات على مستوى علمي واسع بين المحاضر والمؤتمرين . وفي إحدى المحاضرات وقف أحد المؤتمرين ، وهو فقيح المحامين السابق في باريس ، وقال : « أنا لا أعرف كيف أوفق بين ما كان يحكى لنا عن جمود الفقه الاسلامي وعدم صلاحه أساساً تشريعياً يفى بحاجات المجتمع العصري المتطور وبين ما نسمعه الآن في المحاضرات ومناقشاتها مما يثبت خلاف ذلك تماماً ببراہين النصوص والمبادئ » .

وقد اختتم المؤتمر وخرج المؤتمرين بالاجماع على هاتين النقطتين :

- ان مبادئ الفقه الاسلامي لها قيمة تشريعية حقوقية لا يمارى فيها .
- وأن اختلاف المذاهب الفقهية تنطوي على ثروة كبيرة من المفاهيم والمعلومات والأصول الحقوقية التي تتيح للفقه الاسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها .

وأعلن المؤتمرين رغبتهم في أن يظل أسبوع الفقه الاسلامي يتابع أعماله كل سنة ، وأن يكلف مكتب المؤتمر للموضوعات التي أظهرت المناقشات بضرورة جعلها أساساً للبحث في الدورة القادمة . ورأى المؤتمر أن تؤلف لجنة لوضع معجم للفقه الاسلامي يسهل الرجوع الى مؤلفات هذا الفقه ، فيكون موسوعة فقهية تعرض فيها المعلومات الحقوقية الإسلامية وفقاً للأساليب الحديثة . وقامت الجمعية الدولية للحقوق المقارنة بتلخيص وقائع الفقه الاسلامي وما دار فيه من بحوث ومناقشات مع التعليق عليه بما يظهر أهميته الكبرى في عالم القانون ، ونشرت هذه الخلاصة في العدد الرابع من السنة الثالثة من « المجلة الدولية للحقوق المقارنة » الصادر في أكتوبر - ١٩٥١ ، كما نشر معهد الحقوق المقارنة بجامعة باريس نصوص المحاضرات مع مناقشاتها في كتاب خاص أصدرته مكتبته في مجموعة سلسلة

للبحوث القانونية سنة ١٩٥٣ بإشراف المسيو « ملو - Millot » رئيس المؤتمر .

## تأثير القوانين الوضعية بالفقه الاسلامي

وبعد ، فهذه لمحة عابرة وسريعة عن الفقه الاسلامي منذ نشأته حتى اليوم . بقي أن نعرف هل تأثرت القوانين الدولية الموضوعية بالفقه الاسلامي ؟ .

من المعروف ان الرومانيين وغيرهم من الدول المندثرة كانت لهم حضارات قد بلغت الأوج في زمانهم . ومن المعروف أيضاً انه عندما أشرقت شمس الاسلام كانت هذه الحضارات مندثرة ، مع دوماً . فجاء الاسلام بمبادئه وتعاليمه وحضارته ، وازدهرت حضارة الاسلام ، وفتحت الجامعات في قرطبة وبغداد وغيرهما من عواصم الدولة الاسلامية ، وكانت أوروبا وقتئذ ترزح تحت دياجير الجهل ، فبهرها نور حضارة الاسلام الساطع ، وأوقدت طلابها لينهلوا من معين هذه الحضارة . وهذا الاقتباس الذي اقتبسته أوروبا عن الحضارة الاسلامية كان قاعدة انطلقت منها حضارتها التي نراها اليوم .

وبنت أوروبا هذه القاعدة على رصيد العلم والمعرفة الذي انتهله طلابها من معين الجامعات الاسلامية ، وعلى ما ترجم من كتبهم في الرياضيات والفلك والأدب والدين ، وغير ذلك من العلوم المختلفة .

ولسنا نشك في ان بعض كتب الفقه الاسلامي وأصوله كانت من بين الكتب التي ترجمتها النهضة الأوروبية .. وترجمة هذه الكتب تؤدي حتماً للاقتباس منها في القوانين الدولية الموضوعية ، فمن المستحيل أن يتركوا هذا الكنز القضائي الحقوقي بأصوله وكنياته وتعاليمه الخالدة العادلة دون الاستفادة منه .

وما ذكره أحد خبراء الشريعة الاسلامية والقوانين الدولية الأستاذ عبد القادر عودة رحمه الله في كتابه « التشريع الجنائي مقارناً بالقانون الوضعي » الصادر عن مطبعة دار العروبة سنة (١٩٦٣-١٣٨٣هـ) بالقاهرة ليعتبر دليلاً على أن القوانين الدولية الموضوعية اقتبست من التشريع الاسلامي وفقهه وتأثرت به . قال الأستاذ عبد القادر عودة في الجزء الأول من كتابه : « ان القوانين الوضعية بالرغم مما انطوت عليه من آراء واستحدث لها من مبادئ ونظريات لا تزال في مستوى أدنى من مستوى الشريعة الاسلامية .

وان بعض رجال القانون يزعمون بأن القسم الجنائي في الفقه الاسلامي لا يصلح للتطبيق اليوم ، ولا يبلغ مستوى القوانين الوضعية ، وان هذه عقيدة خاطئة مضللة انبثقت عن التحامل والجهل بأحكام الشريعة الاسلامية الجنائية جملة وتفصيلاً .

وان الشريعة الاسلامية تتفوق على القوانين الوضعية تفوقاً عظيماً في المسائل الجنائية عامة ، وان القسم الجنائي صالح لكل الصلاحية للتطبيق في عصرنا الحالي وفي المستقبل ، كما كان صالحاً لكل الصلاحية في الماضي .

وان رجال القانون يرجعون للشريعة مجبرين في قليل من المواضع المدنية لأن بعض نصوص القانون المدني التي تحكم المواضع أخذت عن الشريعة الاسلامية .

وانه مر على الشريعة الاسلامية أكثر من ١٣ قرناً تغيرت خلالها الأوضاع أكثر من مرة ، وتطورت الأفكار والآراء تطوراً كبيراً واستجدت من العلوم والاختراعات ما لم يكن يخطر على خيال انسان ، والشريعة الاسلامية لم تقبل التغيير والتبديل ، وظلت قواعدها ونصوصها أسمى من مستوى الجماعات وأكفل بتنظيم وسد حاجاتهم وأقرب الى طبائعهم وأحفظ لأنهم واطمئنانهم ، بينما تغيرت قواعد القانون الوضعي ونصوصه أكثر من مرة لتلائم الحالات الجديدة وظروفها ، بحيث انقطعت العلاقة بين القواعد القانونية الوضعية الجديدة وبين القواعد القانونية الوضعية التي كانت تطبق قبل ذلك التطور .

وهذه شهادة التاريخ الرائعة للشريعة ، وليس أروع منها الا شهادة النصوص ومنطق النصوص التشريعية الاسلامية التي جاءت من يوم نزولها بأحدث النظريات التي وصل اليها أخيراً القانون الوضعي . فقد بلغت هذه النصوص التشريعية من السمو والعموم والمرونة كل مبلغ ربما ليس بعده زيادة لمستزيد أو خيال لمتخيل ، ومنها : الشورى : فقد قررت الشريعة الاسلامية الشورى كبدأ ، وتركت لأولياء الأمور في الجماعة أن يضعوا معظم القواعد اللازمة لتنفيذه حسب الزمن والمكان والجماعات ، وجعلت لأولياء الأمور معرفة رأي الشعب عن طريق رؤساء الأسر والعشائر ، أو عن طريق ممثلي الطوائف أو بأخذ رأي الأفراد الذين تتوفر فيهم صفات معينة ، أو بطريق التصويت المباشر ، أو بطريق التصويت غير المباشر . فـالأولياء الأمور أن يسلكوا أي طريق آخر يرون أنه أفضل من غيره



في التعرف الى رأي الجماعة ، شريطة أن لا يكون في ذلك ضرر ولا ضرار لمصالح الجماعات والأفراد ، أو للنظام العام . ولتطبيق هذا المبدأ قواعد أساسية توجب الشريعة اتباعها ، منها : أن تكون الأقلية التي لا يؤخذ برأيها أول من يسارع لتنفيذ رأي الأغلبية باخلاص ، باعتباره الرأي الواجب الاتباع ، وإن تدافع عنه كما تدافع الأغلبية ، وليس للأقلية أن تناقش رأيا اجتاز دور المناقشة ، أو تشكك في رأي وضع موضع التنفيذ .. كما حصل في معركة «أحد» عندما استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته في الخروج للعدو من المدينة أو البقاء في المدينة ومحاربه وهم فيها . فلما رأته الأغلبية الخروج ، وكان رأي رسول الله مع من قال بالبقاء ، كان عليه السلام أول من بادر الى تنفيذ رأي الأغلبية . فنص «وأمرهم شورى بينهم» عام الى أبعد حدود العموم ، من الى أبعد حدود المرونة بحيث يمكن تطبيقه في كل زمان ومكان ، ولا يضيق بما يمكن أن يستجد من أحوال وحالات ، وقد سبقت الشريعة الإسلامية بهذا المبدأ كل القوانين الدولية الموضوعة . وأول قانون وضعي اعترف به بعد الشريعة الإسلامية هو القانون الانكليزي في القرن السابع عشر بعد أن قرره الشريعة الإسلامية بأحد عشر قرنا . ثم قرره القانون الفرنسي بعد ذلك ، ثم انتشر المبدأ في القوانين الدولية الوضعية .

**الطلاق :** وأباح الشريعة الإسلامية الطلاق للرجل ، كما أباح للمرأة أن تطلب الطلاق من القضاء وتطلق من زوجها اذا أثبتت انه يضارها ضررا ماديا أو أدبيا ، أو كان لا يؤدي لها ما توجبه الشريعة الإسلامية على الزوج . وقد قررت الشريعة الإسلامية هذا المبدأ منذ أكثر من (١٣) قرنا ، بينما لم تعترف به القوانين الدولية الموضوعة الا في القرن العشرين بعد أن تأكدت أن تقرير حق الطلاق نعمة على المتزوجين ، وأنه الطريق الوحيد لانقاذ الزواج الفاشل .

**الخمر :** وحرمت الشريعة الإسلامية الخمر ، بينما أثبت العلم اليوم أن الخمر مفسدة عظمى ،

وانها تهدم الصحة وتضعف المال وتضعف النسل والعقل ، وتضر بالانتاج ، فأخذ العقلاء ورجال القانون الدولي يدعون لمنع الخمر ، وألفت الجماعات والهيئات لبيان مضارها ومفاسدها .

## الدين : كتابه وامله الدين الشهادة : تحملها وأداؤها :

مجموعة من النظريات والمبادئ التشريعية الإسلامية جاءت في كتاب الله العزيز . قال جل وعلا :

« يا أيها الذين آمنوا اذا تدانتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب ان يكتب كما علم الله فليكتب ، وليلل الذي عليه الحق ، وليتق الله ربه ، ولا يبخس منه شيئا ، فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا ، أو لا يستطيع أن يمل هو فليمل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احدهما ، فتذكر احدهما الأخرى . ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ، ولا تساموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله . ذلكم أقسط عند الله ، وأقوم للشهادة ، وأدنى ألا ترتابوا ، الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ، فليس عليكم جناح الا تكتبوها . واشهدوا اذا تباعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد . وأن تفعلوا فانه فسوق بكم » .

فالشريعة الإسلامية قررت كتابة الدين في القرن السابع الميلادي ، والدول بدأت ذلك في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، فقد اشترط القانون الفرنسي الذي أخذت عنه معظم القوانين الأوروبية ان يكون الدين مكتوبا اذا زاد على مقدار معين .

وقد قررت شريعة الاسلام أن يمل العقد الطرف الذي عليه الحق الضعيف لتحفظ به حقوقه ، ولتحمية من التورط ، ولتكون شروط العقد معلومة له حق العلم ، وليقدر ما التزم به ، فلا يستطيع القوي استغلال نفوذه ، فيشترط

على الضعيف شروطا غير عادلة . وهذه الحالة التي عالجتها الشريعة الإسلامية استعصت على القانون الوضعي وأخذ العمال يعالجونها بتأليف النقابات ، ويرون أن حل مشاكلهم لا يتأتى الا اذا كان لهم حق املاء شروط العمل . وقد توصل القانون الوضعي لحل بعضها اليوم ، ولكنه عجز عن حل المشكلة جذريا ..

وحرمت الشريعة على الانسان أن يدعى للشهادة فيمتنع عنها ، أو أن يشهد واقعة فيكتمها ، أو يذكرها زورا على غير حقيقتها . والقوانين الدولية الوضعية تأخذ - اليوم - بتحريم شهادة الزور ، أو كتمان الشهادة ، ولكنها لم تصل بعد الى تحريم الامتناع عن تحمل الشهادة . والمصلحة العامة تقضي بالتعاون على حفظ الحقوق وتسهيل المعاملات للناس . والامتناع عن تحمل الشهادة يضعف الحقوق ، ويؤدي الى تعقيد الأعمال وبطئها .

وقال «غوستاف ليون» في كتابه «حضارة العرب» : ان معايير النجاح التشريعي التي تقصد بها وسائل التقدم والتأخر في المرتبة الاجتماعية كانت واحدة في كل مكان يقع داخل حدود الاسلام .

ويعتبر «ليني أولمان» الأستاذ بكلية الحقوق في باريس ، الشريعة الإسلامية في المعاملات مصدرا حيا للقانون ومناظرا للحق في أطواره المختلفة . وقرر «ازيكو أنساياتو» : ان الشريعة الإسلامية تفوق في كثير من بحوثها الشرائع الأوروبية المقتبسة من اشتات المصادر ، ويقول : « ان الشريعة الإسلامية تعطي العالم أرسخ الشرائع ثباتا » .

وينصح الأستاذ «بيوكازيلي» رجال القانون بالأخذ بمبادئ الشريعة الإسلامية ، ويقول : « ان ذلك لأن القانون في الاسلام أسس من البدء تأسيسا مباشرا على الوحي الإلهي » .

وهكذا يتبين لنا ان القوانين الدولية الوضعية تأثرت بالفقه الاسلامي واقتبست منه ، وان هذه القوانين لتتحدث بذلك وتعلن دون خفاء اقتباسها وتأثرها بالتشريع الاسلامي وفقهه ■

مراجع البحث : « القرآن الكريم » و « الحديث النبوي الشريف » ، و « المنتهى » في فقه الامام أحمد بن حنبل ، و « ابن عابدين » في الفقه الحنفي ، و « اعلام الموقعين » لابن القيم ، و « الطبقات الكبرى » لابن سعد ، و « تاج العروس من شرح القاموس » ، و « الفقه الاسلامي في ثوبه الجديد » لمصطفى أحمد الزرقاء ، و « تاريخ التشريع الاسلامي » للخضري ، و « التشريع الجنائي مقارنا بالقانون الوضعي » لعبد القادر عودة ، و « شرح مجلة الأحكام العدلية » لمحمد خالد الأتاسي ، و « القانون الدولي العام » لملي صادق أبي هيف ، و « فلسفة التشريع في الاسلام » لصبحي المحمصاني ، و « الجرائم في الفقه الاسلامي » دراسة فقهية مقارنة لأحمد فتحي البهنسي ، و « الاصابة في تمييز الصحابة » لابن حجر .



# الحياة والإنسان بين الذرة والمجرة

إن وجود كون، كالكون الذي كُشفته الأرضاء والحسابات الفلكية الحديثة، المتأززة على تنوعها، والذي يتفوق حدود الصور في امتداده وفخاؤه وخصائص أجزائه الكبرى والصغرى، يشكك بالغة الخطورة، هي أصله ونشأته وتطوره ومستقبله.

بقلم الدكتور فؤاد صروف

التي يقطعها منها الينا . وقد بين علماء الرياضة العالمية في الفلك الفيزيائي أن المادة التي نشأت منها هذه المجرات المتباعدة كانت محتشدة في حينه ضيق - بالقياس الفلكي - منذ عشرة آلاف مليون سنة .

أفكون هذا الرقم - عشرة آلاف مليون سنة - هو عمر الكون ، أي مدى امتداده في عباب الزمان ؟ وإذا كان ذلك كذلك ، فكيف بدأ الكون كيانه بعد أن أوجده الباري عز وجل ؟ النظريات الغالبة نوعان ، أحدهما قائم على مبدأ « الكون المتطور » ، والثاني ، على مبدأ « الكون المتصف بالخلق المستمر » ، الذي يوصف

وربانية ، الى أن ظاهرة الحيدود الى الأحمر ، وما تدل عليه من تفرق المجرات وتباعدتها ، دليل على كون غير مستقر ، أخذ في التمدد . وقد قال « لوفيل » ، مدير المرصد الراديوي في « جودول بانك » بانكلترا ، انه إذا أخذنا صورة التمدد هذه ، وعكسناها ، أي عدنا الى الزمن السابق على زمننا ، قلنا ، بالمنطق وحسب ، ان هذه المجرات كانت منذ مليون سنة ، أو أكثر ، أقرب بعضها الى بعض مما هي الآن . ونحن إذ ننظر اليها اليوم ، بأمواف ضوء واصل منها الينا ، إنما نراها كما كانت ، عندما انطلق هذا الضوء منها ، منذ زمن يقاس طولاه ، بطول المسافة الضوئية

## في مجل (النزل)

فيما كان العلماء مكين على الدراسات الكونية الرائعة ، تبيّنوا ظاهرة أوقعتهم في حيرة ، هي ظاهرة الحيدود الى الأحمر (1) ، التي دلّتهم على تباعد المجرات عنا ، وتباعد بعضها عن بعض بسرعات مذهلة ، فتعاون علماء أعلام ، من المختصين بالرصد والتصوير والحلّ الطيفي والحساب الرياضي ، على التثبت من هذه الظاهرة ، ثم على تحليلها وتعليل ظاهرات أخرى بها . وقد ذهب هؤلاء العلماء ، بقيادة أفراد منهم ، وبالإستناد الى أسباب كثيرة ، فيزيائية

(1) أساسها مبدأ « دوپلر » الذي طبق أولاً في عالم أمواج الصوت . فصفير القطار المتجه الى المراقب يعلو ، لأن أمواج صوته تتلاحق في مسافة تتقاصر ، فتقصر الأمواج فيرتفع الصوت . أما القطار البتد فينخفض صفيره لسبب معاكس . وعند تطبيق هذا المبدأ على الضوء في الدراسات الطيفية ، بدأ أنه إذا وجد في ضوء واصل من جسم مضى ، خطوط الطيف تحيد الى الأحمر ، فهو جسم أخذ في الابتعاد ، ومقدار الحيدود يدل على السرعة . فلذلك حين تبين الراصدون في طيوف المجرات الخارجية حيدوداً الى الأحمر قاسوه ، فقالوا انها تبعد عنا وبعضها عن بعض بسرعة مذهلة .



أيضا بـ « الحالة الثابتة » . ولكل من النظريتين ، طبعات متقحة ، تختلف احداها عن الأخرى في التفاصيل ، ولا تختلف في الأصل .

فالعالم « غامو » يذهب الى أن الكون بدأ بانفجار ضخم ، حدث في كتلة المادة البدائية منذ زمن سحيق يقع في حدود عشرة آلاف مليون سنة . وفي خلال هذا الزمن تكونت السدم أو المجرات والنجوم التي تحتويها ، من هذه المادة التي انفجرت وبدأت تتفرق . وما نراه بوسائلنا اليوم من تباعد أجزائه الكبرى بعضها عن بعض إنما هو من أثر ذلك الانفداع القوي الذي أحدثه التفجّر . أما الأب « لومتر » ، البلجيكي ، فيذهب في إطار هذا الرأي ذاته الى أن الكون نشأ أصلا من احتشاد مادي كثيف ، وصفه بكلمتي « الذرة الأولى » ، وأنها انفجرت منذ ستين ألف مليون سنة ، وبعد انقضاء نحو خمسين ألف مليون سنة ، استنفد اندفاع الانفجار طاقته . وكان حجم الكون يومئذ ، في حدود مليون سنة ضوئية ، وكانت عناقيد السدم تتكاثر شيئا فشيئا من الغاز البدائي ، واذ هي تفعل دخل عليها فعل التناثر الكوني ، فبدأ الكون يتمدد . وبعد مرور عشرة آلاف مليون سنة أخرى ، بلغ الحالة التي نلاحظها اليوم بالصور والمطاييف وغيرها .

ويقابل نظرية التفجر والتطور ، نظرية الكون « المتصّف بالخلق المستمر » ، وأساسها فرض مؤداه أن غاز « الهيدروجين » يتكون تكونا مستمرا في رحاب الكون . ومن هذا الغاز تتكون السدم والنجوم على مراحل ، في أزمنة طويلة ، وتمضي في تكونها . وكذلك نجد أنه ، فيما تتفرق المجرات أو السدم وتتباعّد ، تكون سدم أو مجرات أخرى في سبيل الخلق أو التكون ، فتحل محلها في عباب المكان . واذن فالكون في هذا الرأي ، لم يتغيّر في خطوطه الكبرى ، عما هو عليه ، أو عما يبدو لنا الآن أنه كان عليه . ومهما ترتدّ الى الماضي السحيق ، ومهما يبعد زمن الارتداد ، فانه كان كذلك ، في خطوطه الكبرى أيضا . والنقاش العلمي ، لا يزال قائما ، بين نظرية التطور ، ومن عناصرها التفجر والتعدد الكوني ، ونظرية الكون المستمر . أفيقاس عمر الكون في عباب الزمن بألوف الملايين من السنين ، أم ليس لصورة ولادته وعمره معنى أو مفهوم على الإطلاق ؟

ان الاعتماد على الأدلة المستخرجة من الرصد والتحليل الطيفي لم تجد حتى الآن ، جدوى فاصلة ، في الحسم بين التوعين من النظريات ،

وأيهما أدنى الى الانطباق على الكون كما نعرفه ، وتبينه بآلاتنا وعقولنا اليوم .

فيلزم أن ندرس الكون كما كان منذ بضعة آلاف مليون من السنين ، بدراسة مجرات تبعد عنا بضعة آلاف مليون سنة ، لأن ضوئها الواصل إلينا منها ، إنما انطلق منها عند ذلك الزمان ، فكأنما نراها كما كانت يوم انطلق منها . ولعلنا نستبين بذلك ما يدلّ على حالتها وخصائصها يومئذ . فاذا ظهر أن عدد السدم في نطاق محصور من الكون ، كان حيثذ أكثر مما نبيّنه اليوم في ذلك النطاق ، وأن هذه السدم تتطور شكلا وخصائص ، فالمليل يقوى الى الأخذ بشكل من أشكال النظرية الأولى ، نظرية التطور الكوني .

## الحياة في الكون

هل الأرض دون غيرها من أجرام الكون مئوى للحياة ، أو ثمة كواكب سيارة أخرى ، في مجرتنا ، أو في المجرات الخارجية ، تتوافر في بعضها أحوال مواتية لنشأة الأحياء واستمرارها وتطورها ؟

ليس في الوسع أن نحاول الردّ على هذا السؤال المترامي ترامي الكون نفسه ، الا على أساسين : أما الأول فهو أن نقرّر أن الحياة المقصودة في السؤال ، إنما هي حياة كالتّي نعرفها ، بطبيعتها وأشكالها على سطح الأرض . فمن العبث أن نتكهن بوجود أشكال حية يحتمل نشوؤها في أحوال غير الأحوال التي نعهدها . وأما الثاني ، فهو الافتراض بأنه اذا توافرت على أي جرم ، الأحوال اللازمة للحياة ، كما نعرفها ، في بيئة كالبيئة التي أتاحها لها الظهور على الأرض ، قلنا بأن ظهور الحياة عليه واقع حتما .

فهل تتوافر على الكواكب السيّارة الأحوال المادية المواتية للحياة وارتقاء أشكالها ، من حرارة وبرودة ورطوبة وجوّ مناسب ؟ جميع المؤلفات التي وضعت والبحوث والأرصاء التي أجريت ، حتى الآن ، يمكن اختصارها في ثلاث عبارات : الفئة الأولى من الكواكب ، الواقعة بين الأرض والشمس تشمل : عطارد ، والزهرة ، ويغلب أن تكون الحياة ممتنعة عليهما ، أما لشدة الحرارة واما لطبيعة جوّهما ، وان كان الاهتمام بدراسة الزهرة لا يزال مستمرا ، خاصة بوساطة السواير الفضائية . والفئة الثانية تشمل : المشتري ، وزحل ، وأورانوس ، ونبتون ، وبلوطو ، والحياة عليهما ممتنعة لشدة البرد ، وضآلة ما يصلها من اشعاع الشمس . أما المريخ ، الواقع مداره بين مداري

الأرض والمشتري ، فقد كان موضوع نقاش علمي مستفيض منذ أواخر القرن الماضي بين القائلين بوجود أحياء عاقلين على سطحه يصنعون أفنية للري ، مثلا ، والذاهين الى احتمال وجود أحياء من طبقة الأحياء النباتية الدنيا وحسب . وعلى كل فالأحوال على سطح المريخ كدرجات الحرارة العليا والسفلى ووجود الماء وغازي « الأكسجين » و « ثاني أكسيد الكربون » ، وهي من الشروط اللازمة للحياة على الأرض ، لا تختلف كثيرا في جوه وعلى سطحه عما هي عليه على الأرض . ويرجى أن يفضي الاستقصاء المستمر بالمراقب الكبيرة ، والتصوير ، والحل الطيفي ، والسواير الفضائية المتلاحقة التي تدور حوله أو تحطّ على سطحه ، الى حسم هذا الموضوع .

فاذا خرجنا من نطاق المجموعة الشمسية كان لنا أن نسأل : أليس هناك بين هذه النجوم ، أو الشمس ، التي لا عداد لها ، نجوم لها كواكب سيّارة ، على مثال مجموعتنا ؟ ثم أليس بين هذه الكواكب سيّار كالأرض ، تتوافر في جوه وعلى سطحه ما يتوافر عندنا من مقومات الحياة ؟ من النجوم ما ينبغي استبعاده من هذا الحساب ، وهي النجوم المزدوجة أو الثنائية والنجوم المتعددة ، وهي كثيرة ، بعد دراسة الكتل الغازية الدوامة في المخبر ، والحسابات الرياضية ، يجب التسليم بعدم وجود كواكب سيّارة لها ، وذلك لسببين : أولهما أن الكتلة الغازية الأصلية التي نشأت منها النجوم المزدوجة أو المتعددة ، قد حققت ميلها الأصلي الى الانقسام بانشطارها قسمين أو ثلاثة أقسام ، لم يلبث كل منها أن صار شمسا ، مترابطة مع الأخرى بدوران احداها حول الأخرى ، أو بعضها حول بعض أو بدورانها حول نقطة معينة في نظام متماسك . وثانيهما صعوبة تصوّر أفلاك أو مدارات ثابتة للكواكب السيّارة حول شمس مؤلفة من شمسين أو ثلاث شموس .

ولكن الشمس المنفردة كشمسنا كثيرة ومتعددة . أفليس لها كواكب سيّارة ، ومن ثم أليس بين هذه الكواكب كوكب أو أكثر تتوافر فيه بيئة مواتية للحياة . ان الرأي هنا يتوقف على القول الذي يؤخذ به في طبيعة نشوء المجموعة الشمسية . ففريق من علماء الفلك الحديث يرى ، على التبسيط ، أن كتلة الشمس الأصلية الغازية ، كانت آخذة في التقلص بسبب اسراع دورانها حتى أصبحت تميل الى الانشطار . وانها لذلك



اتفق دنو شمس كبيرة منها في حدود فلك بلوطو بسرعة متوسطة ، فأحدث في دنوها مدّا في كتلة شمسنا ، وما زال المدّ يرتفع ويتعاضم حتى بلغ درجة ، انتشر عندها الى مجار من المادة اللطيفة ، ما لبثت على الزمن الطويل حتى تقلصت وأصبحت كواكب سيرة . وإن ذلك حدث منذ زمن بعيد . ولهذا الرأي طلبة منقحة يحلّ فيها الاصطدام بين الشمسين ، محلّ دنو احدهما من الأخرى وحسب .

فاذا كان هذا هو الذي حدث وأفضى الى تكوين النظام الشمسي ، ففكرة حدوثه بين النجوم بعيدة الاحتمال للمسافات الشاسعة التي تفصل بين الشمس ، حتى لتندر فرصة الدنو الكافي أو الاصطدام . وكان «آرثر ادنغتن» الفلكي الفيزيائي الانكليزي ، يرى أن احتمال حدوثه كنسبة واحد الى مئة مليون . وعلى هذا الرأي فوجود شمس لها كواكب سيرة ، ووجود كوكب أو أكثر منها ، تتوافر عليه أحوال مواتية للحياة ، ليس النمط الغالب في الكون .

على أن هذا الرأي ليس بالرأي الوحيد في نشوء النظام الشمسي ، ولعله ليس الرأي الغالب الآن . والآراء كثيرة ، أحدها قائم على أن في طبيعة الكتلة الشمسية الأصلية ، وتركيبها ، والقوى الحرارية والكهربائية المتفاعلة فيها ، ما يدفعها في أحوال معينة الى قذف تيارات ضخمة من مادتها ، مسافات بعيدة ، كما يحدث في النجوم الجديدة الفائقة ، ثم تتخلص أجزاء رويدا رويدا ، فتصير الكواكب السيرة وتوابعها . وهذا الرأي يكاد أن يكون تعديلا ، بحسب العلوم الحديثة . لرأي لابلاس السديمي . ووفقا له يمكن حدوث نظام شمسي كنظامنا حدثا طبيعيا ، دون حاجة الى حادث كوني بعيد الاحتمال .

هذا الرأي ، أخذت كفته ترجح في السنوات الأخيرة . فاذا صحّ ، فقيام نظم شمسية ، كنظامنا ، بين الشمس التي لا عداد لها ، أمر طبيعي ، وإذن فلا بد من وجود عدد عظيم منها . ويرى العالم «هويل» أن في مجرتنا وحدها يحتمل وجود مئة مليون نظام شمسي . وفي هذه الحالة لا يستبعد أن تتوافر على كوكب سيار أو أكثر من الكواكب التي في هذه النظم الشمسية أحوال تواتي الحياة .

وما يصحّ على مجرتنا ، خليق أن يصحّ على المجرات الأخرى . والواقع أن علماء الفلك الراديوي في انكلترا ، ثم في الولايات المتحدة ، ما زالوا معنيين في الفترة الأخيرة ، باشعاعات

راديوية ، واردة من أقاصي الفضاء ، لم يقطعوا برأي فيما فيها ، ولكنهم لا يستبعدون من حسابهم استبعادا حتميا مسبقا ، أنها قد تكون واردة من حضارة متقدمة ، قائمة على كوكب سيار ، يدور حول أحد النجوم في إحدى هذه المجرات النائية .

## الفصل في الذرة والمجرة

من سطح كوكب سيار لا يعدّ في حساب الكون المترامي الانثرّة من هباء ، يرود الانسان الكون بعقله باحثا ، مستطلعا ، تواقا الى استكشاف أسرارها ، من أصغر دقائقها الى أضخم مجراتها . وقد صنع المراقب الكاسرة والعاكسة ، والمجاهر البسيطة والمركبة والكهربية ، واستعان بالصور الضوئية والمطاييف ، وبالأجهزة الروحانية ، والأمواج والتأثير المشعة والمعادلات الرياضية ومقاييس الحرارة والمغنطيسية والاشعاع وغيرها ، ومضى لا يلوي على شيء ، يستحثه الشوق الى الفهم ، فلا يفتقر الى الحقائق ، ويتجاهل الأبعاد والأغوار ، فلا تردّ عليه ما الذي يضرب بها عن الريادة وما يلزمها من متعجب وفاجع . فهذا الانسان المتعجب ، يتعجب من متعجب . فلهذا التسامح يشوق الى الفهم الكيف . نراكم نغزى من ناحية من النواحي ، فمما تاملنا في بعض حقائقها وانتفع بها في الطب والزراعة والصناعة وغيرها . وأطلق منها بعضا ، فحينئذ وبالدمج حينئذ طاقة لا تحصى . وهذا من ناحية مقابلة الى طبائع الأجرام السماوية ، التي لا تكاد تحصى ، والمجرات الضخمة المترامية في عياب المكان والزمان . الى ألوف الملايين من سني الضوء ، ولم ينصرف عما بين الطرفين من أحياء وغير أحياء .

فما هو مقامه بين الطرفين ؟ اذا نظرنا الى مقام الانسان ، من حيث هو وحدة مادية وحسب ، بين الذرة والشمس ، وجدناه يفوق الذرة وزنا ، نحو ألف مليون مليون مليون مرة ، وتفوقه الشمس وزنا نحو عشرة آلاف مليون مليون مليون مليون مرة . فكأنه يقع في منطقة ليست بعيدة عن الوسط ، بين الذرة والشمس . فاذا مضينا خطوة أخرى في المقابلة ، أشرنا الى أن مجرتنا تحتوي على مئة ألف مليون نجم ، علاوة على مقدار ضخم من الغبار الكوني ، وأن في خضم الكون ألوف الملايين من المجرات ، ان لم تكن جميعها من قدر مجرتنا حجما ومحتوى ، فان كثرة منها على كل حال تحوى ألوف الملايين من النجوم .

وقد يظن أن البون ، الذي يكاد الانسان أن يتوسطه ، بين الذرات والشمس ، هو بون شاسع ، حتى ل يبدو أن الصلة بين الذرة والسديم أو الذرة والمجرة ، تغدو بعيدة واهية . ولكن الانسان في تقدمه العلمي ، بدأ يدرك أنه حين يلتفت الى الذرة ، فانه يرى فيها من الشمس ملامح . ألم يتبين ذلك ، الصوفي «فريد الدين العطار» ، في لحظة من لمحات الاشراف ، فقال : « اذا فلتت أية ذرة وجدت في قلبها شمسا » ، فأثبتت ذلك كشف العلم الحديث ؟

وينقل الانسان طرفه من الذرات الى الشمس ، فتعينه الذرة حينما على استقصاء طبائع النجوم وفهمها ، ثم يستعين بما أفاد ، على ادراك بعض ما في الذرة من غوامض ؟ ألم يستكشف عنصر «الهلوم» في الشمس قبل كشفه على الأرض ؟ ألم يتنه العلماء من دراسة التفاعلات الذرية والنوية الى فهم التفاعل في قلب الشمس ، ثم الى ادراك ما يماثله من التفاعل في القنبلة النووية الحرارية ، لحظة انفجارها ؟ وسرعان ما صنع الانسان القنبلة وفجرها . ثم أليس لنا أن نتطلع من خلال هذا الفهم المتزايد للصلة بين الذرات والشمس ، الى ترويض هذه المعرفة وجعلها مصدرا لا نفاذ له ، لاطاقة المحركة التي يطرد الاحتياج اليها في التقدم العمراني . فالعالم الفيزيائي ، المكب على دراسة الذرات والأمواج ، لا يلبث أن يتسع مدار تأملاته ودراساته رويدا رويدا ، حتى يشمل النجوم ، بل الكون كله . والفلكي المنصرف الى مراقبة ومطاييفه وسائر أدواته ، سرعان ما يلقي نفسه ، وهو يفيد من دراسة الذرات في فهم النجوم والمجرات من ناحية . وامداد دارسي الذرات من ناحية أخرى بما يعينهم على مواصلة البحث وتوسيع نطاق الفهم .

ومهما يكن ميدان التخصص الذي يكبّ عليه العلماء الباحثون سواء ألى الذرات انصرفوا أم الى النجوم والمجرات ، وما بينهما ، من جزئيات ودقائق ومضت فيها الحياة ومضت الأولى ، فليس في وسعهم أن ينزعوا بعضهم عن بعض ، فجميعهم يطرقون على مطايا فكر يجنحه الشوق والخيال ، وتضبطه قواعد المنهج العلمي ، وتتآزر الوسائل والطرق في العلوم المتباينة والمتجاورة على توسيعه وتعميقه ، ولن يحطوا عصا الريادة مهما يدلم المدى أمامهم ، وكأنهم يرددون قول الفيلسوف بكر : « قيمة الانسان ، هي أنه ذلك الجزء من الكون الذي يسأل السؤال ، ثم يحاول أن يجد الجواب » ■



# «إير يا بدر»

«في ذكرى ملحمة بدر التي صمدت أروع معنى للتضحية والإباء»

للشيخ محمد رضا آل صادق

حدثني بدر فبالقلوب طماء ..  
حدثني بدر أن يومك مجد  
حدثنا .. فأنت رمز البطو  
أي ركب مثي اليك فأضحت  
اذ تهادى الإيمان يهتز الكف  
لم ترع كثرة الضلال خطاه  
بوركت .. بدر .. قلعة تملأ الرح  
انها قد سمت بأعظم شأو

حدثني بدر فبالقلوب طماء ..  
حدثني بدر أن يومك مجد  
حدثنا .. فأنت رمز البطو  
أي ركب مثي اليك فأضحت  
اذ تهادى الإيمان يهتز الكف  
لم ترع كثرة الضلال خطاه  
بوركت .. بدر .. قلعة تملأ الرح  
انها قد سمت بأعظم شأو

به تراءت لنا الأماني الوضاء  
ملوّه البؤس والأسى والشقاء  
ظلمها الجاهلية الجهلاء ..  
مر وثقتات أمنا البرحاء  
له هذا الوجود ممّا يشاء  
من رآه نعم الأنيس «حرّاء»  
عظيم ما تعنو له العظماء  
أرا لتحبنا في ظله الصحاء  
مؤمنات بفيض منها الولاء  
حلوة ماج في مداها الصفاء  
تمتد وتعلو الرسالة السمحاء  
في لظى الحرب قلعة عزلاء  
حملته العقيدة الثمّاء  
ة .. حتى توارت الكبرياء ..  
لا فروت ظمأى الرمال الدماء  
والنبي الأمين زف لـه الفتح مبينا يضوع منه الشناء ..

إيه يا بدر يا سراجا حواليد  
فانطوى فيه أي عهد لنجم  
يا لها من صحائف أشبتها  
هكذا كان يعبث الألم المـ  
لم كانت إيماء شاءها الله  
فاصطفى منه للرسالة «طه»  
وحبائه بالخلق والصدق والنجل  
فمضى في ربيع الخصب معطـ  
ثم خفت خلف النبي نفوس  
وتخطى الهدى أفوايق دنيا  
يا بني المصطفى وما هي  
علمنا أن كيف تمضي انتصارا  
أقبلت في جريد نخل ولكن  
فأذلت به أبا جهل والعتبـ  
وأذاقت طغائها الحنّف تقنيـ  
والنبي الأمين زف لـه الفتح مبينا يضوع منه الشناء ..

وفي الصدر ضرام تكوى به الاحشاء  
قد طغت في الدنسى أعاصير شحناء  
وتعادت أظافر الدهر تمتص دمانا وارثد عنا الناء ..  
أين عنا بدر لتكعب فيها المعزم والتضحيات وهي السخاء  
أين منا الدم الذي طالما شب بوح الجهاد فيه الأبواء  
فلنوحّد صفوفنا لنصد الخصم في وثبة غداها المضاء  
ولنجبا في بقظة العمر يغتر بأوطاننا الرحاب الهناء

يا رسول الهدى سلام ..  
قد طغت في الدنسى أعاصير شحناء  
وتعادت أظافر الدهر تمتص دمانا وارثد عنا الناء ..  
أين عنا بدر لتكعب فيها المعزم والتضحيات وهي السخاء  
أين منا الدم الذي طالما شب بوح الجهاد فيه الأبواء  
فلنوحّد صفوفنا لنصد الخصم في وثبة غداها المضاء  
ولنجبا في بقظة العمر يغتر بأوطاننا الرحاب الهناء





# للهُ الشُّكرُ رَبِّي فِي الْأُمْرِ إِسْكَالِ الْجَنُوبِ

بقلم الأستاذ عبد الله مشير





**ق** العرب في الأندلس نحو من ثمانية قرون ، وأنشأوا خلافة وممالك وإمارات ، فكان طبيعيا أن يتكاثروا عددهم مع الأيام ، فلا يقل في النهاية عن بضعة ملايين . واضطروا بعدها الى الانسحاب والخروج من الأرض التي تحدث آثارهم فيها عنهم ، حضارة وثقافة وفنا ، فضلا على نهضة أوروبية من بعدهم . فمن انسحب وخرج منهم ؟ ان المنسحبين والخارجين كانوا من القوات المحاربة ، أو بالأحرى من بقايا هذه القوات ، ولم يكن من سبيل لانسحابهم الا سلوك طريق البحر الى الأراضي المغربية . وهذا يعني أن العدد القليل من مجموع الأهليين العرب غادر الأرض الأندلسية ، ومن تبقى من غير المحاربين ، وهؤلاء كانوا الأكثرية الساحقة ، لم يغادروا الأرض تلك ، ولو أرادوا مغادرتها لما استطاعوا ، لعدم توفر الوسائل اللازمة لعبورهم البحر .

منطق هذا واقع . وواقع أن المتخلفين هناك ، وعددهم بضعة ملايين ، لم يجدوا سبيلا للعيش بأمان وسلام في المجتمع الذي يختلف عن مجتمعهم ، الا بالانسجام الطوعي أو القهري مع هذا المجتمع . فكان أن انخرطوا فيه متمسكين بطابع ذويه .

ومع ذلك كله فقد ظلوا ، في نظر سكان تلك البلاد الأصليين ، الاعداء الذين لا بد من مرور أجيال ، قبل أن يصبحوا أهلا للتمتع بحقوق المواطنين الصالحين . واكتشفت في أعقاب ذلك أميركة . واتجهت نحوها الأنظار .

ورأى أهل الطموح المجال الرحب فيها لتحقيق أحلامهم ، فهناك الثروات التي حدث المحدثون عنها ، وهناك الخيرات التي تحتاج الى من يكتشفها ، فاذا توصل أحدهم اليها لم يبق بينه وبين تحقيق أمانيه مسافات وحدود .

وغير هذا رأى من كانوا عربا فيها . رأوا فيها الأرض التي من استوطنها غدت أرضه ، لا فوارق بينه وبين الآخرين من مستوطنها ، ولا آثار ماضى يذكر بما كان بين فئات هؤلاء المستوطنين ، مما من شأنه إثارة النزعات وتهيج الشجون .

ورحل عدد كبير منهم في عداد الراحلين اليها . واشتركوا في تعمير هذه البلاد ، وفي انماء طاقاتها الحيوية المختلفة ، وكانت لهم في بعضها اليد الطولى .

\* \* \*

في عام ١٤٩٢م ، اكتشف « كريستوفر كولمبس » ، البحار الجنوى الأصل ، أميركة . وتوالى بعده المكتشفون . وكانت البرازيل من نصيب البرتغال ، اكتشفها بحار يدعى « بندرو ألفارس كابرال » ، عام ١٥٠٠م ، وكان اكتشافها « صدفة » . والصدفة كانت أن البحار المذكور أبحر بعمارة الى الهند ، ولدى وصوله الى الرأس الأخضر من سواحل أفريقيا الغربية ، أراد أن يتجنب هذا المكان ، خوف الأوبئة التي كان قد شاع نبا انتشارها فيه ، فاتجه بعمارته الى عرض المحيط ، غير حاسب حساب التيارات الأوقيانوسية التي لم تكن بعد معروفة ، فحملته هذه التيارات وسفته الى البرازيل .

هذا ما قيل .. الا أن ثمة ، من علماء التاريخ المدققين ، من يقول غير هذا القول ، فالصدفة المزعومة لم تكن صدفة ، وانما كانت اختلافا مقصودا لصرف الأفكار عن الواقع . الواقع كان هذا :

**ق** عرف العرب الأندلسيون زمن دولتهم البرازيل ، وذكروها في أخبارهم باسم « الجزيرة الخضراء » . ودل ملاحوهم المتخلفون في البرتغال « بندرو ألفارس كابرال » عليها ، اذ لم يكن هذا - في زعم القائلين - ملاحا خيرا بالطرق البحرية والسير فيها . واذن .. فكيف يمكنه أن يقود حملة كالتى قادها ، ويصل بها سالما الى ما وراء المحيط ؟

وللغرب في البرازيل حتى الآن آثار . وقد أتبع لي الاطلاع بنفسى - خلال رحلة قمت بها قبل نحو عشرين سنة الى أميركة - على بعض آثارهم تلك . وفيما يلي أهمها :

المدينة الأولى التي حطت فيها طائرتنا ، بعد عبورها المحيط الأطلسي من الجانب الأفريقي كانت مدينة « رصيف » الشمالية . وكلمة « رصيف » عربية .

أضف الى ذلك أن علماء اللغة البرتغالية ، يؤكدون أن في هذه اللغة ، سبعة آلاف كلمة من لغة الضاد .

وغير هذا الأثر في « ريو دي جانيرو » . هناك شارع « الفندكا » ، وهو الشارع الأول في محلة المرفأ ، وقد اتخذته الجاليات العربية ، منذ بدء اغتربها الى البرازيل ، مقرا لها .

اسم هذا الشارع « الفندكا » مأخوذ من كلمة « الفندق » العربية ، والفندق عند عرب الأندلس

كان بناء يقام على الحدود الدولية ، لضبط الصادر والوارد من البضائع والمواد ، واستيفاء الرسوم القانونية عنه . وهذا هو البناء الجمركي في زمننا .

ووجود الشارع المذكور في محلة المرفأ ، في جوار المباني الجمركية القائمة هناك ، حمل الأواثل من ذوي الشأن على اطلاق اسمه العربي عليه .

وفي ريو دي جانيرو « القصر المغربي » . انه أحد أبلدع وأفخم القصور التي يدعى السياح الى رؤيتها ، بناؤه عربي مغربي مئة بالمئة ، وعربيا مغربيا كان صاحبه الذي تحكى عنه وعن الحياة التي كان يحياها ، حكايات كحكايات ألف ليلة وليلة .

وللأسماء العربية الشخصية كذلك أثرها ، فانت تسمع مثلا أسماء اسماعيل ، وعمر ، وحسن ، فتظن أن هذه الأسماء لأفراد من أبناء جالياتنا المنتشرة هناك ، واذا هي في الواقع أسماء أشخاص من أبناء البلاد أنفسهم . توارثوها أجيالا عن أجيال .

وعن واحد من هذه الأسماء ، حدثني أحد أساتذة الجامعة في « سان باولو » ، وهو من أبناء جالياتنا هناك . قال :

**ك** مرة في دار الاذاعة ، فسمعت صوتا أنويا ، كأنه من أصوات الحور ينشد : « يا أم العبايا » ، فرحت أتعرف الى صاحبه ، فاذا هناك فتاة سمراء ذات سمات عربية واضحة ، لم تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها ، فما شككت لدى رؤيتها في أنها من بنات الجالية العربية . وشدة ما كانت دهشتي اذ علمت أنها من أب برتغالي وأم اسبانية ..

وسألتها : « كيف تعلمت الغناء العربي ؟ » فأجابت : « تعلمته بالسماع ، ولي ميل شديد ما أدري سره ولا سببه » .

وأغرب من ذلك اسمها : « الطائر مكة » ، ويكتب بالبرتغالية : « Altaer Meca » . فما معنى هذا الاسم ، والعروبة كلها فيه ، وكيف وصل اليها ؟

سألتها ، فأجابت : لا أدري . وسألت والديها ، فعلمت انه اسم مألوف في عائلة أمها . قلت : لا شك في أن الأم عربية الأصل ، واسم البنت وميلها الى الغناء العربي ، محض وراثي .

هذا ما قاله لي الأستاذ المواطن في « سان باولو » بالبرازيل .





منظر عام لكنيسة «سان دومينغو» بمدينة سانتياغو في تشيلي ، ويبدو الأثر العربي ظاهرا في مبناها الذي يوحي للناظر لأول وهلة بأنه مسجد .



مبنى آخر في أمريكا الجنوبية تمكس معالمة المعمارية أثر العمارة العربية فيه . وهو مبنى كلية القانون التابعة لجامعة أنديز في فنزويلا .

من الطلاب يبدون وكأنهم سعداء بوجوده بينهم . ولالأديب «سارميتو» نحو عشرين مؤلفا . ومن مؤلفاته واحد خص به نفسه ، راويا سيرة حياته .. وفيه يعتز بكونه يمت الى العرب بصلة وثقى ، ويفخر بكون هذه الصلة تعيد الدم الجاري في عروقه الى دم عربي أندلسي . والمباني العربية الهندسة في الأرجنتين كثيرة ، ويكاد الناظر اليها يشعر بأنه أمام تراث بناء الحمراء والزهراء ، وسادة غرناطة ، وأشبيلية ، وقرطبة . وأروع ما يحدثك عن أولئك البناة والسادة في المباني العربية الطراز والهندسة تلك ، الآيات المرسومة بالخط العربي الجميل المذهب على جدرها الداخلية ، ومنها : «الله أكبر» ، و«لا اله الا الله» ، و«لا غالب الا الله» . وحتى في بعض المعابد تقرأ هذه الآيات . وربما يدهشك ذلك .. ولكن دهشتك تزول ، اذ تعلم أنها للفن وحده رسمت ، والفنان العربي استوحى في رسمها روح فنه .

فالطابع العربي المغربي طابعهم . وهم كالعرب ، يهاودون في كل شيء ، الا في الحفاظ حتى الموت على المرأة والجواد والسلاح ! وهناك أسر قديمة لا تنكر أصلها العربي ، وما يزال بعضها يحمل الاسم الذي يدل عليه كآسرة «البراسين» المعتبرة من أغنى وأشرف أسر البلاد . وهي أسرة تعود بأصلها الى جماعة «البيازين» المعروفة في تاريخ الأندلس ، وقد كان رجالها من أفرس فرسان زمانهم ، وكم من معركة خاضوا ذودا عن مدينة غرناطة التي كانت مدينتهم . ومن لعبوا دورا خطيرا هناك الرئيس «سارميتو» الملقب بأبي الثقافة الأرجنتينية .. كان هذا من كبار الأدباء والسياسيين ، جلس على كرسي رئاسة الجمهورية زمنا قضاه في تنظيم الحركة الثقافية والتربوية ، وله في كل مدينة من مدن البلاد تمثال يرى فيه حاملا كتابا ، وحوله عدد

والأثر العربي في البرازيل ، كما في أي بلد من بلدان أميركا اللاتينية ، يبدو أكثر ما يبدو في هندسة المباني ، من قصور ، ودور ، ومعابد . وفي الأرجنتين يبلغ الأثر العربي القمة بوجوده وعطائه السخي على كل صعيد . ويقول مؤرخو ذلك البلد : كثيرون من أبناء الجاليات الأولى التي تحدر الشعب الأرجنتيني منها كانوا من أصل عربي . وعلى القول أدلة :

**هناك** مثلا «الغاوتشو» ، ويدعون فرسان البر .. هؤلاء عرب أقحاح ، في رأي المؤرخين المحققين . ومن كتبوا عنهم علامتنا المغرب الكبير ، المرحوم الأمير أمين أرسلان ، الذي . بعد أن زارهم وجالسهم وآكلهم قال «ان القوم هؤلاء عرب مئة بالمئة : يعاداتهم وتقاليدهم وفروسياتهم ، بلباسهم وطعامهم وطراز معيشتهم» .





نشرت هذه الصور باذن من :  
Authenticated News International

ليس هذا مسجدا ، كما يخيل للناظر لأول مرة ، وإنما هو مبنى لأحد النوادي الرياضية الشهيرة في العالم وقد غلب عليه طابع فن العمارة الإسلامية .

— أنتم العرب هدمتم امبراطوريتكم بيدكم .. كان يجب أن تكونوا اليوم ملء أمريكا اللاتينية ، ولكنكم أضعتم الفرصة التي أتاحت لكم ذلك فيما مضى .

قلت ، وقد فتحت عيني دهشة :

— كيف ؟ لم أفهم !

قال مفسرا :

— بلغتكم على الأقل .. لقد ملكتم اسبانية والبرتغال نحواً من ثمانية قرون ، فكان هذا الزمن كافياً لفرض لغتكم على أبناء ذينك البلدين ، ولو فعلتم لكانت لغة بلدان هذه القارة الاسبانية والبرتغالية الأصل هي العربية .

محدثي محامياً مكسيكياً ممن لا

يجهلون العرب وتاريخهم ، تعرفت

اليه في مجتمع من مجتمعات جاليتنا اللبنانية في

« مكسيكو » . ولفرط ما حدثني عن العرب وأثرهم

في الأندلس ، وفي أمريكا نفسها ، لم أشك في

كونه منحدراً من إحدى الأسر العربية التي جاء

أبناؤها مع المستوطنين القدامى الى هذه القارة .

وحين أفصيت اليه بما يداخلي من ذلك ، قال جادا :

— غير مستبعد هذا !

وكان رأيه في ما سبق وقلت ، من تخلف

أكثرية العرب الأندلسيين في الأندلس ، وفزوح

عدد كبير منهم الى العالم الجديد ، حيث ما يزال

لهم في كل مكان منه أثر .. كان رأيه في ذلك

رأياً .

اليهما ما لأهلهما من أوصاف تنطبق على الانسان العربي أكثر منها على سواء ؟

والرأي السائد هو أن سكان الولاية المذكورة

منحدرون من صميم الجاليات الاسبانية الأولى

التي نزلتها ، وأن هذه الجاليات كانت عربية

الأصل ، وترجع بتاريخها البعيد الى الجاليات

العربية السورية التي انتقلت الى الأندلس ،

وحملت اسم المدينة السورية الكبرى « انطاكية »

آنذاك معها .

وفي كولومبية « قرطاجة » . وقرطاجة في الأصل

المدينة والدولة المشهورة التي أسستها « اليسار » ،

ابنة ملك صور الفينيقية ، في شمالي أفريقية .

والى اسبانيا نقلها « هملقار برقة » قائد

الجيوش القرطاجية ، ووالد « هنيعل » البطل

الذي دوخ الأمبراطورية الرومانية طوال خمس

عشرة سنة .

فما حكاية قرطاجة كولومبية ؟ لم تكن قرطاجة

« اليسار » عربية .. لكن العرب انتزعوها فيما

انتزعوا من أيدي الروم ، وأصبحت البلاد القائمة

فيها قطعة من أرضهم ، فكانت قرطاجة اسبانية ،

والحالة هذه أقرب اليها منها الى الاسبانين الذين

كانت دخيلة عليهم .

ومن نقل انطاكية نقل قرطاجة . رأي هذا لا

أكثر .

• • •

وقال لي محدثي :

وللأرجنتين « قرطبتها » . وقرطبة الأرجنتين

لعبت دوراً بارزاً في تاريخ البلاد السياسي ،

وما تزال تلعب الدور الأول على مسرح العلم

والثقافة . فهي عند البعض « رومة أمريكا

الجنوبية » ، وعند البعض الآخر « اكسفورد

أمريكا اللاتينية » ، وهناك من يطلق عليها لقب

« فبركة الأطباء والمحامين والكهنة » ، لما فيها

من معاهد يتخرج هؤلاء فيها .

تلك المدينة تذكر بقرطبة الأندلس . وقد

لا يكون بناتها القدامى عرباً ، الا أن طابعها

العلمي والثقافي ، وقد كان لقرطبة الأندلس

الطابع نفسه ، يدعو الى التساؤل : أتكون هي

الصدفة التي جعلت من قرطبة الأرجنتين مرآة

لقرطبة الأندلس ، أم ان ثمة من أراد لها

قصداً هذا الطابع كيلا يحرم العالم الجديد

من قرطبة كقرطبة العالم القديم توزع العلم

والمعرفة ؟

• • •

**وكانت** « كالي » أول مدينة نزلتها في

« كولومبيا » . وهذه المدينة من أقدم

المدن الأمريكية ، يعود تاريخها الى العام

١٥٣٦ م ، ومؤسسها القائد « سبتيان دي بلكاسر »

و « بلكاسر » بالعربية : « ابن القصر » .

وفي كولومبية ولاية تدعى « المداين » ،

وعاصمتها « انطوكية » ، أي انطاكية والاسمان

كافيان للدلالة على أصلهما ، فكيف اذا أضيف



# صراع الناس مع معاني الكلمات

بقلم الدكتور ابراهيم أنيس

ان دلّ على شيء فانما يقتصر دلالة على انه نوع من الدواء سمع عنه أو رآه ، ولكن نفس اللفظ يقع من أذن المريض وقعا آخر بعد أن جرب آلام الحقن عدة مرات ، وقامى عذاب المرض زمنا ما جعل لفظ « البنسلين » يحاط في ذهنه بظلال هامشية من الدلالة لا أثر لها في ذهن ذلك القروي .

**وهكذا** نرى أنه بينما تجمع الدلالة المركزية بين الناس تفرق الهامشية بينهم ، وبينما تساعد الأولى على استقرار المجتمع وتعاون وقضاء مصالحه قد تكون الأخرى عاملا على خلق الشقاق والنزاع بين الأفراد .

ولعل أوضح مجال للدلالة الهامشية هو المجال السياسي . هنا قد تفرق الدلالة الهامشية بين الإنسان وأخيه الإنسان ، وتفرق الشعوب بعضها من بعض ، وتقيم بينهم أسوارا وحواجز ، بل قد تدفعهم الى الحروب وويلاتها .

فألفاظ السياسة تحاط عادة بهالة من الظلال الهامشية التي تؤثر في عقول الناس ونفوسهم ، وتوجههم توجيهها معينا ، نحو الخير حيناً ، ونحو الشر أحيانا . وإذا صح ما يقوله المفكر الفرنسي « تاليراند » من أن الإنسان انما يتكلم ليخفي ما يدور في ذهنه ، فليس ينطبق هذا القول على مجال من مجالات الكلام مثل انطباقه على لغة السياسة وموترات السياسيين .

أما المجال الآخر الذي تسود فيه الدلالة الهامشية ، أو تصول وتجول فيه ، فهو مجال المنازعات القضائية . ويدرك رجال القانون أكثر من غيرهم أثر تلك الدلالات الهامشية في النزاع بين الناس . ذلك لأن الألفاظ القانونية التي قد تكتسب صفة المصطلح المحدد الدلالة قليلة ، والكثرة الغالبة من ألفاظ القانونيين تتصل اتصالا وثيقا بحياة الجمهور ومعاشهم ، وتصنف مشاكلهم الاجتماعية ، وتدبر شئونهم العامة ، وترعى مصالحهم . ومع أن القانوني يحاول جاهدا أن

ونظّل على هذا القدر من الوضوح طوال حياته دون زيادة أو نقص يذكر ، في حين أن كلمة أخرى كالحزن أو الغضب قد تتطور دلالتها المركزية معنا ، فتأخذ وضعاً في طفولتنا غير الذي هي عليه في شبابتنا ، ثم تستقر على حال معينة في شيخوختنا .

**لماذا** الدلالة التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم وما ورثوه عن أسلافهم ، فتلك التي تطلق عليها اسم الدلالة الهامشية ، وهي التي لا تكاد تعنى بها المعاجم ولا تحاول الخوض فيها . فالتكلم ينطق باللفظة أمام السامع محاولاً بهذا أن يوصل الى ذهن السامع دلالتها ، فتبعث تلك اللفظة في ذهن من سمعها دلالة معينة اكتسبها من تجاربه السابقة ، وهو بعد سماعها يفترض أن ما دار بخلد ذلك المتكلم يطابق تمام المطابقة ما يدور بخلده هو . ولكنه لم يتغلغل في عقل المتكلم ليتبين مراده الدقيق ، بل لا سبيل الى هذا ، ولم يقف على كل الحدود الدلالية لدى المتكلم وانما بنى فهمه للفظ على تجاربه هو وفهمه الخاص فهناك مثلاً شاب يسمع لفظ « المسدس » فيدرك من توه دلالاته المركزية ، ثم لا يكاد هذا اللفظ يثير في ذهنه مع تلك الدلالة المركزية شيئاً من ظلال المعاني ، أو ربما يثير ذكريات محببة لديه حين يذكر طفولته ، وملاعب صباه يوم كانت له لعبة عزيزة في صورة المسدس يطلقها في الهواء فتبعث شرراً ، أو تقذف قطرات من الماء أمام لداته من الأطفال .

وهناك شاب آخر مرّ به حادث أليم رأى فيه مجرماً أثمياً يصوب « المسدس » نحو شخص عزيز عليه ، ثم يطلقه فيحدث دوياً مزعجاً بعده يخترّ ذلك العزيز صريعاً تتدفق الدماء من صدره . فلفظ « المسدس » في ذهن هذا الشاب تظلله دلالة هامشية بغضه منفرة .

ولفظ « البنسلين » مع قروي صحيح البدن

**يعيش** الناس في مجتمعهم حياة تقوم على قدر كبير من التعاون وتبادل المصالح ، فيتصل بعضهم ببعض ، ويستفح بعضهم ببعض ، ويسعى الفرد فيهم وراء رزقه ، وما يكفل له الأمن والرخاء والاستقرار ، متجولاً يوماً في الشمال وآخر في الجنوب ، وساعة مع الباعة في الأسواق ، وأخرى مع الموظفين في الدواوين ، غير تارك ناحية من نواحي المجتمع الا طرفها ، وهو في كل ذلك يتخذ في اتصالاته تلك الوسيلة التي تنتظم أبناء مجتمعه ، والتي تيسر لهم أسباب التعاون الاجتماعي ، وهي ما يسمى « باللغة » .

والناس مع هذا ربما نشأوا في ظروف مختلفة ، وتأثروا بتجارب متباينة فيما سبق من حياتهم ، مما قد يترك أثراً قوياً في فهمهم لمعاني الكلمات ، وبصغها بصيغة خاصة من ظلال الدلالة لدى كل منهم . ولكنهم برغم هذا يظنون يتعاملون بتلك الكلمات ، ويتنازل كل منهم دون عمد أو شعور ، عن تلك الفروق التي تظلل الدلالات في أذهانهم بظلال متباينة ، فانهين في حياتهم الاجتماعية بقدر مشترك من الدلالة يصل بهم الى نوع من الفهم التقريبي هو الذي يكتفون به عادة في حياتهم العامة .

وهذا القرار المشترك من معنى الكلمة هو الذي يسجله اللغوي في معجمه ، ونطلق عليه هنا الدلالة المركزية . وأقصى ما يطمع فيه اللغوي هو أن يجعل تلك الدلالة المركزية واضحة في أذهان الناس ، فيحاول شرحها وتحديددها في معجمه مستعيناً في ذلك بفهم جمهور الناس من الطبقة المثقفة ، ومتخذاً منهم نماذج الدلالية في المعجم .

والدلالة المركزية مع هذا ، منها ما يتطور بتطور حياتنا ، ومنها ما يظل على حاله في كل مراحل الحياة . فكلمة « الشجرة » مثلاً تنضح دلالاتها المركزية في ذهن الفتى أو الغلام ،



يحدد معاني تلك الألفاظ ، يلحظ أن الناس لا يزالون يختصمون .

وليس من الضروري أن نفترض المغالطة في كل نزاع قضائي ، فقد يكون النزاع حول مدلول اللفظ عن عقيدة وإيمان بين كل من المتخاصمين . فالقضاة والمحامون يقضون نصف حياتهم في صراع مع معاني الكلمات وحدود تلك المعاني فيوفقون حيناً ، ويفشلون حيناً آخر .

وليست تلك الدلالة الهامشية كلها شراً ، فقد تكون سبباً من أسباب المتعة للناس حين يستغلها الأدباء والشعراء الذين لا يقنعون بالدلالة المركزية ، بل يستوحون دلالات هامشية من الألفاظ ، وينطلقون على ما يقتصر على الدلالات المركزية من أساليب ، اسم الأسلوب العلمي الذي لا يستهدف إلا إيصال الحقائق دون زيادة أو مغالاة . فكلمة الربيع حين يقتصر في شأنها على الدلالة المركزية تصبح كما يصفها علماء الطبيعة بقولهم مثلاً (الربيع أحد فصول السنة يحل لأسباب كونية خاصة ، وفي شهور معينة ، وتصحبه عادة خضرة في الأشجار واعتدال في الطقس) . الخ .

ولكن الربيع مع الأدب المطبوع حين ينقل ويستوحي الألفاظ ، ويشحنها بالظلال الهامشية يصبح شيئاً آخر ، أو يصبح أدباً رائعاً . فالدلالة الهامشية هي المستولة عن كثير من روائع الأدب ، وهي التي بعث ما يسمى بالنقد الأدبي الذي ألف فيه الكتب ، ووضعت له الأسس والمقاييس . فأصحاب النقد الأدبي يعرضون إلى ما يسمونه بالذوق العام والذوق الخاص . ولا شك أن ذلك الذوق الخاص لا يعدو أن يكون أثراً للدلالة الهامشية التي تختلف باختلاف الناس وتجاربهم مع الألفاظ ، وأمزجتهم وعواطفهم وظروفهم المتباينة .

ويتضح أثر الدلالة الهامشية في النقد الأدبي من تلك النماذج الكثيرة التي يسوقها النقاد في كتبهم ،

لا سيما حين ينصب نقدهم على دلالة الكلمة . وفي كتب النقاد القدماء أمثال «الموشح» للمرزباني ، و«الموازنة بين الطائين» للآمدي ، و«العمدة» لابن رشيقي ، و«الصناعتين» لأبي هلال العسكري ، و«أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجاني ، و«المثل السائر» لابن الأثير ، وغير هؤلاء ، نماذج كثيرة نكتفي بعرض طرف منها لتوضيح أثر الدلالة الهامشية في الحكم على حدود المعنى لأحدى الكلمات .

فقد عاب النقاد على أبي تمام قوله :

رفيق حواشي الحلم لو أن حلمه

بكفك بك ما ماريت في أنه ثوب  
وعلق الناقد على هذا البيت بقوله « ما علمت أحداً من شعراء الجاهلية والاسلام وصف الحلم بالرقعة ، وإنما يوصف الحلم بالعظم والرجحان والثلث والرزانة » .

وعجب أحد النقاد لأن أبا العتاهية بعد بين الشعراء مع قوله :

رويدك يا انسان لا أنت تقطر

ورأى هذا الناقد أن كلمة «تقطر» لم تخرج من فم شاعر محسن قط . وليت شعري أي خصومة بين هذا الناقد وهذه الكلمة ، إلا أن تكون قد ارتبطت في ذهنه بدلالة هامشية خاصة نتيجة تجاربه السابقة ، مما يغضه فيها ، فصور دلالتها في ذهنه على تلك الصورة التي في رأيه لا تليق بالشعر والشعراء .

ولما قال أبو العتاهية في نسيه أو تشبيهه بأحدى الحسان قوله :

انسي أعوذ من التي شغفت

منسي الفؤاد بأية الكرسي

النقاد ان آية الكرسي يهرب منها الشياطين ، ويحترس بها من الغيلان . وهم حين عابوا هذا لم يخطر في أذهانهم أن آية الكرسي دلالة هامشية خاصة في ذهن أبي العتاهية تختلف عما في أذهانهم ، أي أنهم

لم يسمحوا للشاعر أن يستمد من تجاربه الخاصة ومزاجه الخاص دلالة هامشية للكلمة تباين ما لديهم حملت «قطر الندى» بنت خمارويه إلى الخليفة المعتضد ، وكتب معها أبوها يذكر الخليفة بخدمة سلفها ، أمر الخليفة وزيره بالجواب عن الكتاب ، وكلف الوزير أحد كتابه بالرد فغاب الكاتب أياماً وأتى بنسخة يقول فيها «وأما عن الوديعه فهي بمنزلة شيء انتقل من يمينك إلى شمالك ، عناية بها وحياطة عليها» . ثم أقبل الكاتب على الوزير معجبا بحسن ما وقع له من هذا وقال «تسميتي لها بالوديعه نصف البلاغة» ، فقال الوزير : «ما أقيح هذا .. فقامت لامرأة زفت إلى صاحبها بالوديعه ، والوديعه مستردة» .

فلكلمة «الوديعه» في ذهن كل من الرجلين دلالة هامشية خاصة تتصل بالتجارب السابقة لكل منهما ، ولذا حسنت في عين هذا ، وقبحت في عين ذلك .

ومع أن رقي الحياة العقلية في كثير من الأمم قد حدد من الدلالات ، وخلصنا من كثير من الظلال الهامشية التي كادت تطمس معالمها ، يبدو أن لا سبيل إلى الخلاص النهائي من متاعب الدلالات وصراعاتها معها ، إلا باصطناع وسيلة أخرى غير الكلام ، للتفاهم والاتصال الذهني بين أفراد المجتمع . وذلك كأن يوهب المرء مثلاً نوعاً من التفاهم الروحي الذي يكفي فيه مجرد النظر بين اثنين ليدرك كل منهما ما يدور بخلد الآخر . فلو أن كلا منا وهب من الاستعداد الفطري أو الغريزي ما يكفل إدراك ما يخطر بذهن الآخر بمجرد الاتجاه إليه بذهنه وبصره ، لأمكن حينئذ أن يتم التفاهم بين الناس دون وساطة من تلك الرموز الصوتية ، ولتخلصت الإنسانية من دلالات ألفاظ جعلت لسلوك الإنسان ظاهراً وباطناً ، مما أحل البغض والكراهة والنفور محل الود والاخلاص والمحبة بين بني البشر ■



لِقَاجٍ لِلْوَقَايَةِ مِنْ مَرَضٍ «التَّرَاخُومَا»

من انما يشاء الله من امره انما اراد ان يخلص من قلوبهم فرفع الله صوته الى خلقه في الدنيا فقال يا ايها الناس اني قد ارسلت اليكم رسلنا بالبينات وانا صاعد اليكم الكتاب والفرقان فاما انتم فاعلموا ان الله لا يهدي القوم الظالمين فاما انتم فاعلموا ان الله لا يهدي القوم الظالمين فاما انتم فاعلموا ان الله لا يهدي القوم الظالمين

أفراد من فريق أبحاث التراخوما يأخذون عينة من عين طفل مصاب بالتراخوما لدراسة نوع الفيروس ، وذلك لاكتشاف المصل الواقى لهذا المرض .





**والعلم** « تراخوما » جاءت على الغالب من « تراخس - Trachys » وهي كلمة يونانية بمعنى « خشن » .. ويسهل الربط بين الكلمتين اذا تذكرنا ان من مظاهر مرض التراخوما خشونة وحكة يحس بهما المصاب في أجفان عينيه .

و « التراخوما » داء بيئي مزمن ينتقل من المرضى الى الأصحاء بالتلوث أو الملامسة ، ويصيب الغشاء المخاطي الرقيق لباطن الجفن ، وهو ما يعرف بالمتحمة - Conjunctiva ، ويؤدي بالتالي الى احتقانها وتورمها واحساس المصاب بالخشونة التي تحدثنا عنها .. وان أهمل المصاب ولم يعالج ، ازداد المرض خطورة وامتد الى الأجزاء الأكثر حساسية في العين ، وتطور الأمر الى ضعف في قوة الابصار ، ثم الى خدش وندوب وتعتم تدريجي في القرنية .. وأخيرا الى العمى ، حيث لا ينفع علاج ولا عقار .

ان تقارير منظمة الصحة الدولية تشير الى أن ما لا يقل عن ستة ملايين من البشر أصيبوا بالعمى نتيجة للتراخوما . ويركز معظم ضحايا هذا المرض في بلدان الشرق الأوسط ، وحوض البحر المتوسط ، وبلدان شرقي آسيا ، وأفريقيا ، وأمريكا الجنوبية . أما في الولايات المتحدة فقد كانت نسبة الاصابات عالية بين سكان مستوطنات الهنود الحمر في غربي الولايات المتحدة وجنوبها . ومن أجل هذا كانت حملة مكافحة التراخوما ذات طابع انساني عالمي يهدف الى خير البشرية جمعاء . والمملكة العربية السعودية هي احد البلدان التي ابتليت بهذه الآفة ، وقامى بعض السكان فيها من ويلات هذا الداء الويل وبلاياها . ومنذ خمسة عشر عاما أو يزيد أخذت شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) على عاتقها تمويل مشروع يهدف الى دراسة طبيعة هذا المرض ، ومعرفة كل مظاهره وخفاياه ، ومحاولة ايجاد لقاح قمين بوضع حد لداء التراخوما ، الذي كانت بؤاذه تظهر على عدد كبير من الذين ترددوا على عيادات الشركة . وقد تهتدت كلية الصحة العامة بجامعة « هارفرد » في ولاية « بوسطن » بتقديم الخبرات الطبية والفنية اللازمة لاجراء الأبحاث والدراسات ، كما وضعت « أرامكو » مختبراتها ومرافقها الطبية تحت تصرف الفريق الذي جند لهذه الغاية . وتم الاتفاق الدولي على أن تنفق « أرامكو » على هذه الأبحاث ما معدله مائة ألف دولار في السنة ، لمدة خمس سنين . وفي نهاية السنة الأولى أعلن



أخصائي مختبر ، يفحص أحد أنواع الفيروس المزعولة من العينات المأخوذة من العين بواسطة المجهر تمهيدا لدراسته واكتشاف الأمصال الواقية من مرض التراخوما .

المواليد والأطفال المصابين ، وأجريت تجارب زراعة الأنسجة الحية للمرض في تلك العينات ، كما انتقلت الأبحاث الى بلدان أخرى ، كإلند والباكستان والجمهورية العربية المتحدة والبرتغال والحبشة وهونج كونج .

وقبل نهاية تلك المرحلة ونظرا للنتائج المشجعة جددت « أرامكو » مساعدتها لخمس سنوات أخرى بمبلغ زاد على نصف مليون دولار . وفي نهاية عام ١٩٦١ أعلن

الفريق عن احراز بعض التقدم ، حيث قام الخبراء بجلب خلايا سطحية حية من باطن الجفن الآدمية الى الظهران من الولايات المتحدة ، لتجربة انماء متعضيات التراخوما في الأنسجة المزروعة . ومنذ بداية عام ١٩٥٥م الى نهاية المرحلة الأولى في عام ١٩٥٩م استمرت زيارات الفريق الى قرى المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية وعرف الكثير عن طبيعة المرض وعلاقته بالبيئة ، كما أخذت عينات عديدة عن افرازات عيون



يجري عادة اختبار الأمصال المكتشفة لوقاية العين من التراخوما على حيوانات مخبرية للتأكد من فعاليتها .

أحد الأخصائيين يلقح حيوانا مخبريا بلفاح مكتشف للتأكد من مدى فعاليته .

• لقد ساد الاعتقاد في البداية بأن الفيروس هو السبب في مرض « التراخوما » ، ولكن الأبحاث والدراسات والنتائج التي توصل إليها فريق الأبحاث أثبتت بطلان هذا الاعتقاد ، كما برهنت على أن « التراخوما » لا ينتج عن أسباب الأمراض المعروفة ، كالفطريات أو البكتيريا أو الفيروس أو جراثيم « الركتسيا - Rickettsia » . ولا أستبعد أن يتم تصنيفها في مجموعة جديدة متميزة خاصة بها . ولقد تم فصل متعضيات « التراخوما » في عام ١٩٥٨ ، وعزلت أكثر من ٤٠٠ سلالة مأخوذة من أعين أطفال المنطقة الشرقية . ومن حسن الحظ أن هذه السلالات تقع ضمن مجموعتين رئيسيتين ، وهو أمر يجعل مهمة الحصول على لقاح لمقاومة المرض عملاً أسهل نسبياً ، إذ لو زاد عدد تلك المجموعات لصعب التوصل إلى ذلك اللقاح الفعال .

وكان سؤال الثالث هو : لقد مضت خمس عشرة سنة منذ بدأت هذه الأبحاث ، فأين نقف الآن ، وما هي القيمة العلمية للنتائج التي توصلتم إليها ، وكيف يتم استحضار اللقاح ؟

• ربما يتسأل البعض عن القيمة العلمية أو العملية لهذه الأبحاث ، وأستطيع أن أقول أن المعلومات التي توصلت إليها دراسات الفريق ذات أثر فعال وقيمة علمية لا تقدر ، فإن الكثير الذي

التراخوما ، والذي رافق هذا البرنامج منذ عام ١٩٥٧ ، ببعض الأسئلة لمعرفة المدى الذي وصلت إليه تلك الأبحاث .

وكان السؤال الأول : لماذا وقع الاختيار على المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية لاجراء هذه الأبحاث ؟

• ان هناك سببين أساسيين وراء اختيار هذه المنطقة للقيام بأبحاث التراخوما ، الأول هو أن نسبة الاصابات بهذا المرض عالية في المملكة العربية السعودية والسبب الآخر هو استعداد « أرامكو » للاتفاق على هذه الأبحاث . بيد أن السبب الجوهرى هو التشجيع الذي أبدته حكومة المملكة العربية السعودية لدعم هذا المشروع عن طريق تسهيل مهمة الفريق أثناء زيارته وجولاته في مختلف القرى والمناطق . وكانت القطيف أول منطقة زارها الفريق ، وقام بفحص أطفالها من أجل عزل الخلايا الحية « المتعضيات » لمرض التراخوما . بيد أن هذه الدراسات شملت فيما بعد مناطق أخرى من المملكة ، كالأحساء ونجد والحجاز ، ثم تعدتها إلى مصر ولبنان والكويت والحبشة وكينيا والهند والبرتغال والولايات المتحدة .

أما السؤال الثاني ، فكان : هل أمكن الكشف عن أسباب مرض التراخوما ، متى توصل العلم إلى ذلك ؟

عن التوصل إلى لقاح جرب بنجاح في الحيوانات المخبرية ، ثم جرّبه أعضاء الفريق بأنفسهم وتقرر أثر النتائج المشجعة البدء في اعطائه للأطفال بعد أن أقرت ذلك وزارة الصحة في المملكة العربية السعودية . وفي ربيع عام ١٩٦٢م بدىء باستعمال اللقاح ، وطعم أكثر من ١٢٠٠ طفل ورضيع في المنطقة الشرقية ، ثم أعيد تطعيم أكثر من ٧٥٠ من هؤلاء في خريف العام ذاته . وكانت النتائج مشجعة ، فقد نجح المصل الواقي إذاك في تقليل عدد الاصابات ، إذ لم يصب بالمرض سوى ٢٠ بالمائة من الأطفال الذين طعموا مرتين ، بينما ظهرت أعراض المرض في ٥٢ بالمائة من الذين لم يطعموا بالمصل .

واستمرت التجارب بعد ذلك للعثور على أفضل السبل لمكافحة مرض التراخوما واجراء المزيد من الدراسات والأبحاث . وفي نهاية عام ١٩٦٩ أعلن عن اكمال خمسة عشر عاما من هذه الأبحاث . وتم في أكتوبر من العام المذكور توقيع اتفاقية جديدة مدتها خمس سنوات بين الشركة وهارفرد ، وبلغ مجموع ما أنفق في هذه الأبحاث منذ عام ١٩٥٤م ما يزيد على ثمانية ملايين ريال !

ولقد توجهنا إلى الدكتور روجر ل . نكلز ، مدير برامج « هارفرد » و « أرامكو » لأبحاث



عرف عن طبيعة هذا الداء كان نتيجة دراساتها التي عممتها على المؤسسات الطبية المختصة في العالم ضمن ما يزيد على خمسين نشرة طبية أصدرها فريق الأبحاث .

ونحن الآن نقف على أبواب مرحلة مهمة جدا من مراحل البحث والدراسة ، ولقد انتهينا في عام ١٩٦٩ من تقييم اللقاح الذي جرب في عام ١٩٦٢ وطعم به ما يزيد على خمسة آلاف طفل ، ولقد نجح ذلك اللقاح نجاحا محدودا في وقف انتشار التراخوما ومنع الإصابة به . ويقوم الآن فريق من أربعة علماء ، يعاونهم عدد من الفنيين في مختبرات هارفرد ، بتحضير لقاح جديد يجرب أولا في بعض حيوانات المختبر ، فان أدى الى نتائج طبية سيقوم أعضاء الفريق بتجربته بأنفسهم فان نجح ، سوف ينتقل الفريق من « هارفرد » الى هذه البلاد حيث يبدأ استعمال اللقاح الجديد الذي لنا كبير الأمل في أن يكون العلاج الناجع لهذه المشكلة الانسانية المستعصية .

أما عن كيفية استحضار اللقاحات فاننا نقوم عادة بعزل الخلايا الحية للتراخوما من أعين المصابين ، ثم نحقن بها أغشية البيض المخضب ، أي الصالح للتفقيس ، وتمر هذه العملية بمراحل صعبة كثيرة التعقيد قبل أن تؤخذ المتعضيات من البيض وتعزل ، وتجرى عليها عمليات التنقية والتركيز قبل أن يتم تعقيمها كيميائيا تمهيدا لاستعمالها على هيئة لقاح .

وكان سوالي التالي والأخير : هل توجد مجهودات مماثلة غير مجهود « هارفرد - أرامكو » في هذا السبيل ؟

• في الواقع أن عددا لا بأس به من المؤسسات العلمية الطبية يقوم بجهود حميدة في ميسدان مكافحة « التراخوما » ، فهناك على سبيل المثال معهد « ليستر » بلندن ، وجامعة « واشنطن » في « سياتل » بالولايات المتحدة ، وجامعة « كاليفورنيا » ، والمعهد الوطني للصحة في العاصمة الأمريكية واشنطن . وتتبادل هذه المؤسسات الأبحاث والدراسات والنتائج التي تتوصل اليها . أضف الى ذلك أن هنالك مجمعا دوليا خاصا بأبحاث التراخوما ، وقد قامت جامعة « هارفرد » بدعوة هذا المجمع للانعقاد في صيف هذا العام للاطلاع على المدى الذي وصلت اليه الأبحاث والتداول في أمر المستقبل وتوحيد السبل والخطط التي تهدف الى حل الألغاز المتبقية في هذا الميدان

تصوير : برنت مودي اعداد : فريدريك



يمكف الأخصائيون في مختبرات أرامكو وجامعة « هارفرد » على اعداد امصال من أنواع الفيروس التي عزلت من عينات مأخوذة من أعين الاطفال .



أخصائي في أبحاث التراخوما بأرامكو أثناء دراسته لأحد أنواع الفيروس الناقلة لمرض التراخوما .

# النهضة العلمية

**في** تاريخ العلوم سؤال بارز وغريب .  
اذ علم الكيمياء هو من أقدم العلوم  
التي عرفها الانسان القديم . وقد قيل أن لفظ  
كيمياء مشتق من كلمة « كيمي » أو « خيمي »  
التي كانت تدل في العصور القديمة على أرض  
مصر الزراعية السوداء . فالعلم « الأسود » أو  
الفن « الأسود » الذي نسب الى مصر القديمة  
وتربتها ، قد عرف في الحضارات القديمة منذ  
عصر البرونز . وقد شمل استخراج المعادن  
وتعدينها وصهرها ، كما شمل الصباغة والتجهيز  
والتنميق والتذهيب . وهي كلها تعتبر من أقدم  
النشاطات التي عرفها الانسان الآخذ في التحضر  
والتنطور .

فلماذا اذن انطفأ وهج هذا العلم (الا من  
بعض الوميض زمن النهضة العربية) طوال ثلاثة  
أو أربعة آلاف سنة ؟ أي منذ عصر البرونز  
حتى ظهور العلم الحديث في بداية القرن السابع  
عشر .

الحقيقة أن علوم الكيمياء علوم تجريبية بحتة .  
وقد ازدهرت ، عن ضرورة ، في حضارات  
الأنهار التجريبية القديمة ، أي في مصر وبابل  
والهند . ولكنها أيضا من أصعب وأشقى المهن .  
ولهذا يقول « بزنال » : ان علم الكيمياء ، رغم  
أنه أقدم العلوم التجريبية التي عرفها الانسان  
القديم ، ومع شدة احتياج المجتمع في كل زمان  
ومكان لما يؤديه علماءه من وظائف ضرورية ،  
ظل دائما على الدرج الأسفل الملاصق للقاع .  
فليس هناك أي مجال لمقارنة بين عالم كيمائي  
قديم وآخر طبيب أو فلكي أو رياضي أو فيلسوف .  
ولهذا أيضا اختص بالعمل في علوم الكيمياء ،  
منذ أزمنة سحيقة في القدم ، فئات غير مرموقة  
من المجتمع ! . أو انتقل من هذه الفئات الى  
أيدي المسجونين أو الأسرى أو العبيد .

وساعد على هذا بالطبع ما أبرزته المراحل التالية  
من النهضة الاغريقية من تضاد كاذب بين عمل  
العقل واليد الانسانيين .. هذا للحر . وذاك للعبد .  
ثم كثرة اعداد العبيد بسبب تزايد الحروب  
والفتوحات واتساع رقعة الامبراطورية الاغريقية .  
ولكن النهضة العربية ، منذ القرن الثامن الى  
الثالث عشر ، كانت ولا شك نهضة علمية  
وتجريبية فذة وصحيحة ، كما كانت تحررا  
وانفتاحا وتفاعلا مع الحضارات الأخرى المعاصرة  
والسابقة لها . وفي هذا كله طابقت تلك النهضة  
المرحلة الأيونية الأولى من حضارة الاغريق ،

بل وتجنبت النقائص التالية فيها . فقد عاد علماء  
النهضة العربية الأفذاذ الى تجريب مصر وبابل  
والهند ، فاشتغلوا بأيديهم ، وعملوا في المعامل ،  
كما استضاءوا بنظريات الاغريق المحدثين  
وغيرهم آنذاك .

**وقد** وقعوا هنا على تفكير علمي و « أيوني »  
صحيح ، أثمر علما تجريبيا وكشوفات  
ممتازة ، كما عند ابن سينا والبيروني وغيرهما .  
ووقعوا أيضا على تفكير أفلاطوني عقيم ، زاد  
من بلبلتهم . وأفتى أعمارهم . وأضاع من  
جهودهم ، كما في البحث عن « سر الصنعة »  
و « الخميرة » و « حجر الفلاسفة » و « أكسير  
الحياة » وغيرها . فهذه كلها ثمار البذور  
الأفلاطونية التي زرعتها مدارس الفلاسفة الثلاثة :  
سقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو . وأما البذور  
العربية الصحيحة ، فقد أثمرت علوما تجريبية  
وانجازات معملية واضحة ، مثل الكشف عن  
الكحول والبوتاس وتترات الفضة والذهب ، وصناعة  
الزجاج والخزف والورق ، والصباغة ونهضة  
الجلود .. الخ .

وهذا هو ما يجب أن نوضحه ونفخر به ،  
وأن نبين الخطأ الذي وقع فيه بعضنا بتأثير مدرسة  
خاطئة وغريبة عنا .

ظن « طاليس » . أول الفلاسفة الأيونيين ،  
أن الماء أصل كل شيء . ولكن « انكسمنز »  
أضاف الى عنصر الماء عنصرا جديدا هو النار .  
ونقل « انكسمنز » فعل العنصر الأول الى النضيب ،  
وقال بأن النار تحيط بماء كوكبنا فتحيله الى  
ضباب وتفجر منه الكرات الى كوكبنا الى الفضاء .  
ثم تبلورت نظرية العناصر الأربعة : التراب  
والماء والهواء والنار . وأيد زعيمهم « هيراقليطس »  
هذه النظرية ، وزاد من أهمية النار . وقال ان  
عناصر الأرض في « حركة » و « تحول » دائمين .  
وأن كل مادة أرضية فيها من عناصر الأرض  
الأربعة ، وأن هذه العناصر متداخلة فيها ،  
ومتغيرة ومتطورة . ودلل على هذا بأننا اذا أحرقنا  
نباتا ، فان بعضه يتحول الى نار ، وبعضه الى  
دخان يتصاعد في الهواء ، ويتجمع بعضه في  
قطرات ماء ، ويتحول الباقي الى تراب .

وسار على دربه هذا « امپدوكليس » ، الذي  
أضاف قائلا بأن كل مادة يتجاذب صورتها  
وكثافتها عنصرا ، وأن كل جسم ، مهما بدا  
ثابتا ، فيه شيء من « التوتر » . ولكن « أفلاطون »  
ركز على « جوهر » المادة لا على صورتها أو

بقلم الدكتور رؤوف سلام موسى



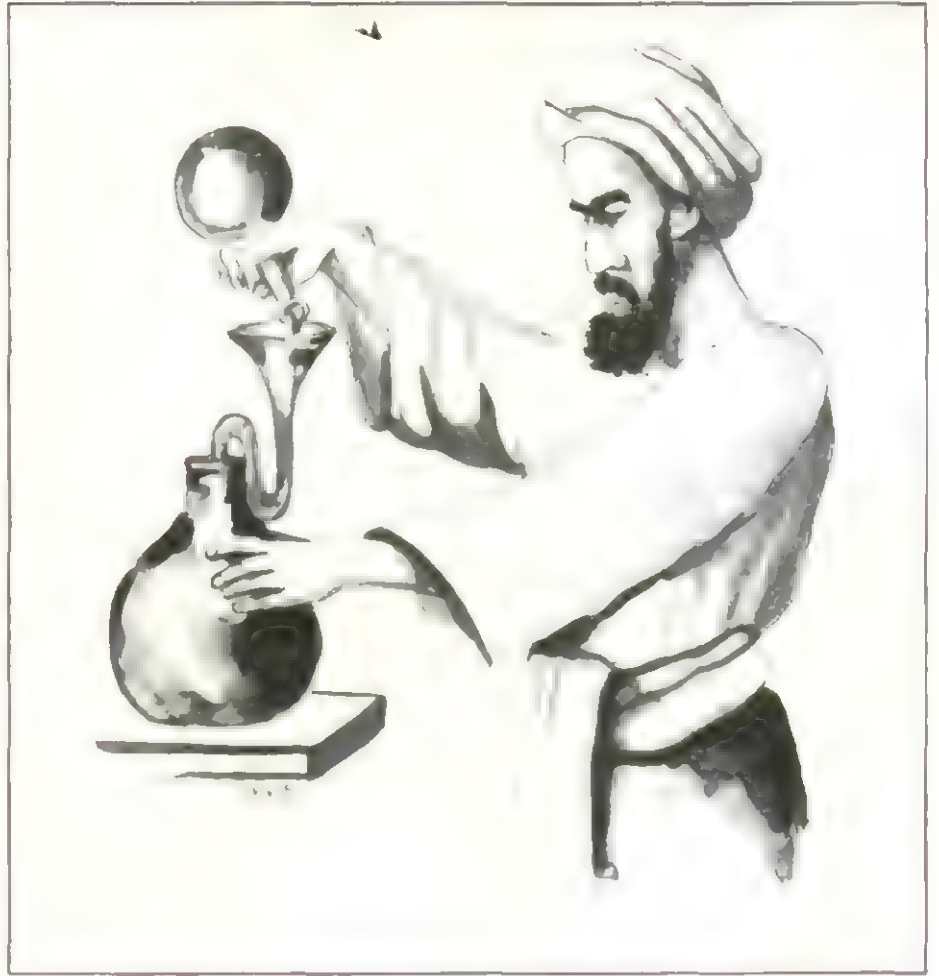
المعادن وتفاعلاتها ، بقدر ما تركز على « سر الصنعة » أو الصفة التي يمكن بها تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب نفيس ، أو « الخميرة » أو « حجر الفلاسفة » أو « الأكسير » الذي تضاف منه كميات مناسبة الى المواد المختلفة ، فتتحول هذه المواد بالعمليات المناسبة أو تتطور بها ، الى مواد أخرى أرقى وأثمن .

وقد سبق ان قال القدماء أن عناصر اللون محدودة ، وأنها في حالة حركة وتغير وتطور دائم ، وأن الجوهر واحد ، والصورة متغيرة . وتغير اللون والصورة يؤديان الى تغير الجوهر . فهذه هي « طبيعة الأشياء » في الفلسفة الافلاطونية بل هي كذلك بعض ما نستخلصه من مواد الاختبارات الكيميائية ونظرياتها الحديثة حين نضيف اليها « العامل المساعد » فنحصل من مواد معروفة على أخرى جديدة .

ونلاحظ أن النظرية العربية « الثلاثية » ، وهي التي حلت محل النظرية « الرباعية » القديمة ، قد انتقلت الى أوروبا مع ما انتقل اليها من تراث العرب القدماء . فنظرية الكبريت والزئبق والملح كانت ، بالمقارنة بالنار والهواء والماء والتراب ، نظرية تجريبية حديثة تشهد لها براهين كثيرة . ولهذا تلقفتها المدرسة العلمية الجديدة في أوروبا بالقبول والتعظيم . بل نجد المجدد العلمي السويسري باراسيلس (١٤٩٣ - ١٥٤١م) يحرق مؤلفات أفلاطون وأرسطو وغيرهما . ويحتضن النظرية العربية ويدرسها في معهده . وكان هذا طبيعيا ، لأن النهضة الأوروبية الحديثة كانت في صميمها ، كالتنهضة العربية القديمة ، علمية وتجريبية ومجددة .

وقد استمرت معارف ونظريات الكيمياء القديمة على ما أضاف اليها العرب حتى أوائل القرن السابع عشر . فتغيرت الصورة القديمة بكشوف ونظريات « دالتون » ، و « بريستي » و « لا فوازييه » ..

فله در البيروني (٩٧٣ - ١٠٤٨م) وابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧م) مع غيرهما من علماء العرب الأفاضل ، الذين تصدوا للنظرية الاغريقية الرباعية ، مثلما تصدوا للنظرية العربية الثلاثية ، حين رفضوا « جوهر المادة » و « سر الصنعة » ، وأكدوا أن الاختلافات بين المعادن أكبر في حقيقتها من مجرد اختلاف الصورة أو اللون .. وهو ما لم يتعارف عليه العلم الانساني ، ويتقبله ، ويسير عليه ، حتى بداية القرن الثامن عشر ■



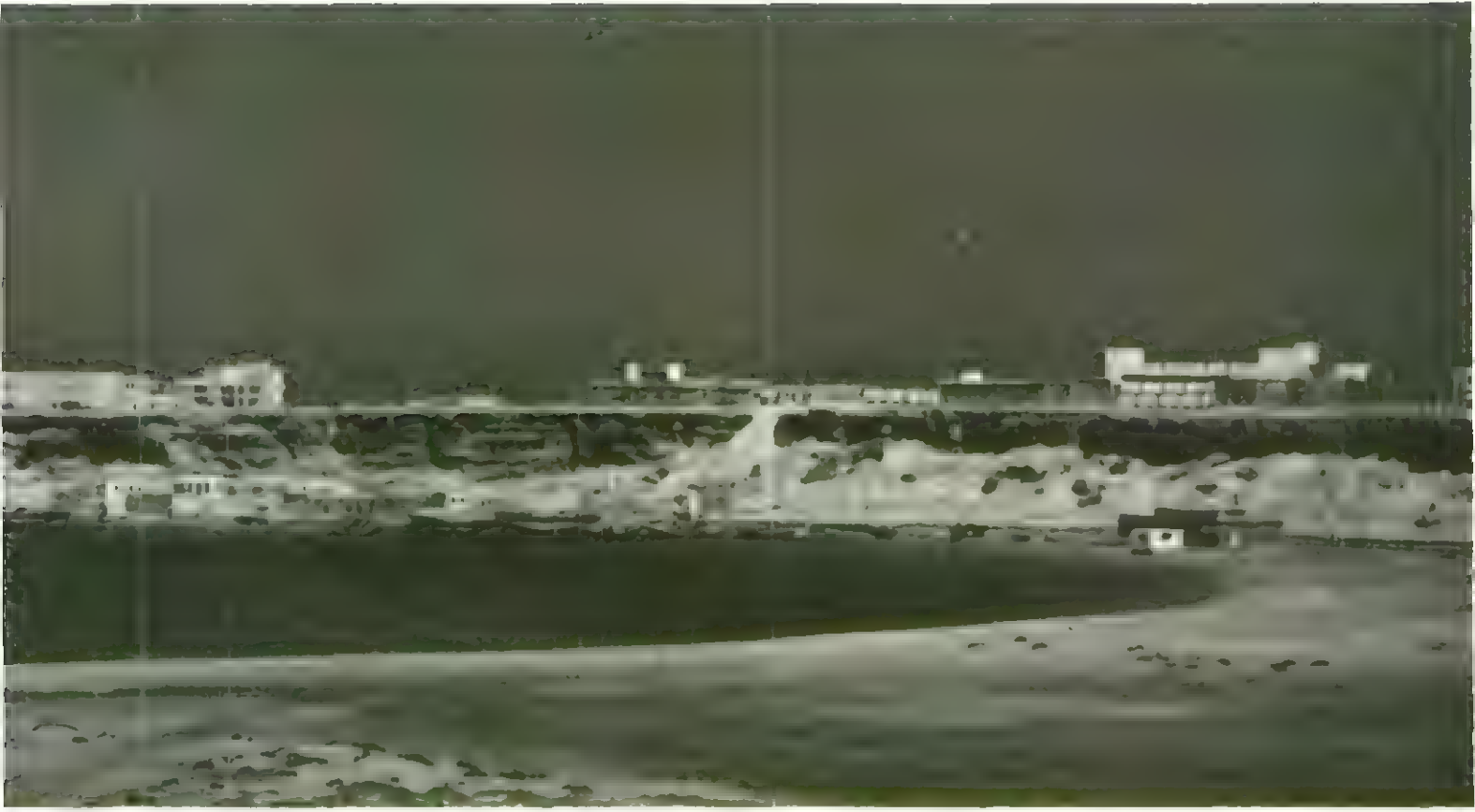
العلم هذا الطراز الافلاطوني كان لا بد وأن يصل الى العرب ، وأن يتأثروا به تأثرهم الشديد بأصحابه . فنجد طبيبا ممتازا كالرازي ينخدع ببعضه ، وينفق سنين كثيرة في المحاولة والتأليف في جوانبه . غير أن هذا التراث قد تطور عند بعض العلماء العرب ، فجعلوا العناصر الافلاطونية الأربعة ثلاثة ، هي في الرأي الغالب : الكبريت والزئبق والملح وقيل أن الكبريت هو رمز النار القديمة ، وهو الذي يحترق ويعود الى الهواء . والزئبق هو السائل الثقيل (الماء) الذي يسيل بين الأصابع . والملح هو العنصر الباقي الذي لا يحترق ويعود الى الأرض .

وقيل أن اتحاد الكبريت والزئبق ، وهو الذي يكون كبريتيد الزئبق الأحمر اللون ، هو الذي غرر بهؤلاء العلماء المجربين والفلاسفة العظام . فاللون الأحمر الفاقع كان عندهم أكثر جمالا ، وأكثر « نبلا » من لون الفضة الأبيض أو الذهب الأصفر .

ولكن البحث لم يتركز على خواص هذه

كتافتها . فكما أن للانسان روحا ، والروح فيه أهم من الصورة ، كذلك للمواد جوهرها الباقي . وأما صورتها ، فكجسم الانسان ، متغيرة وزائلة . ومن هذه النظرة الفلسفية الافلاطونية ، اقترنت تسمية بعض المعادن الأرضية بكواكب معروفة يومئذ ! . فالذهب يمثل الشمس ، والفضة تمثل القمر ، والنحاس يمثل الزهرة ، والزئبق يمثل عطارد ، والحديد يمثل المريخ ، والصفير يمثل المشتري ، والرصاص يمثل زحل .

ثم زاد « أرسطو » الى العناصر الأربعة عنصرا جديدا هو العنصر السماوي الذي تتكون منه الكواكب الأخرى ، ولا يظهر مثيله على الأرض . ولما كان التحول والتغير ظاهرتين ممكنتين (على ما سبق وحدد هيراقليطس . وامبد وكليس ، وأفلاطون) بين عناصر الأرض الأربعة ، وكذلك الهبوط والارتفاع بين الدوائر الأرضية الأربعة ، فليس من الممكن اجراء أي تغير في عنصر السماء الخامس أو في الدوائر السماوية والكوكبية الخمس والخمسين . لأن للسموات قوانينها ونواميسها المختلفة تماما عن قوانين الأرض .



# الوجه... الحسنة

على الطرف الشمالي من الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر. وعلى ربوة صخرية مستوية،  
ترفع عن مستوى سطح البحر خمسين متراً، تقف بخيلاء مدينة صغيرة رائعة  
البناء، ناصعة البياض حباها الله، بموقع ساحر ومنكح فريد، تلك هي  
الوجه... إسمها ومعناها.





منظر عام لمدينة الوجه الواقعة على ساحل البحر الأحمر في الجزء الشمالي الغربي من المملكة العربية السعودية . ويحتضنها خليج طوله كيلومتر ونصف الكيلومتر وعرضه يتراوح بين ٢٥٠ و ٣٥٠ متراً .

## مَوْقِعُ خَلَابٍ وَمَنَاخُ فَرِيدٍ

على تلة شاهقة تتصل بالحي القديم بدرج من الاسمنت له حواجز من المواسير ويبلغ طوله ١٤٠٠ متر . وتبدو الوجه من الطرف الجنوبي للخليج مع ذلك السور كأنها صورة رائعة احتواها اطار بديع . وإلى جانب ذلك الموقع الممتاز ، فإن مدينة الوجه تتمتع بمناخ فريد ، خلافا للمناطق المجاورة لها من جميع الجهات ، فتتراوح درجة الحرارة في الصيف نهرا بين ٢٦° و ٢٨° مئوية وليلا بين ١٨° و ٢٢° . وهواؤها عليل يخلو من الرطوبة ، وعند الظهيرة تهب على المدينة نسائم البحر اللطيفة ، فإذا ما داعبت عينيك فانها تبعث في جسمك خدرا لذيذا لا تليث معه الا أن تستسلم لاغفاءة هادئة . أما شتاؤها فمعتدل لطيف . وهنا لا أملك الا أن أقول أن موقع « الوجه » الفريد يجعل منها مصيفا نادرا فسي في المملكة ومركزا سياحيا ممتازا صيفا وشتاء ، نظرا لاعتدال مناخها ، وما تمتاز به من شواطئ جميلة ، وخليج هادئ ، وجبال سامقة ، وسهول فسيحة ، وأودية عديدة . أضف الى ذلك آثارها ،

سأني أن ياقوت الحموي لم يذكر شيئا عن الوجه في كتابه « معجم البلدان » وكذلك لم يمر بهذه البلدة الجميلة كثير من الرحالين العرب ، كابن بطوطة ، وابن جبير ، والادريسي ، وغيرهم . وهذا يجر الى الاعتقاد بأن الوجه ليست قديمة ، فقد لا يتجاوز عمرها ٣٠٠ سنة . وإذا نظرنا الى « المصور الجغرافي » نجد أن الوجه تقع على خط عرض ٢٦° درجة و ١٤ دقيقة شمالا ، وخط طول ٣٦° درجة و ٢٧ دقيقة شرقا . ويحيط بها من الجنوب خليج صغير يبلغ طوله حوالي كيلومترين ، وعرضه ٢٥٠ مترا ، ينتهي فيه وادي « زريب » الفسيح الذي ينحدر من جبل « الحميرة » في الشرق على بعد ١٢ كيلومترا من الوجه . وجدير بالذكر أن الحي القديم المسمى « محلة الساحل » يقوم على محاذاة الخليج الجميل ، حتى أن أمواجه تتكسر برفق على جدران البيوت . أما الوجه الجديدة فتقوم

غافورنا مطار جدة الى « الوجه » صباح القافظ ، وكانت الطائرة تحلق على ارتفاع ١٤٠٠٠ قدم محاذية الساحل في مسارها . ككل الضباب كالجبال تحجب مياه البحر . وتراحمت الأفكار السوداء في رأسي عن الوجه ، ككتل الضباب التي كنت أراها من خلال النافذة : قد تكون الوجه قرية متواضعة تضم بضعة بيوت لم تمتد اليها يد التطور والتقدم .. الحرارة فيها شديدة ، والرطوبة عالية ، شأنها في ذلك شأن معظم البلدان الساحلية في المملكة ، أما المرافق العامة فقد تكون الوجه خلوا منها . هذه الأفكار أخذت تستبد بي ، ولم أتخلص منها الا عندما حطت بنا الطائرة في مطار الوجه . وما أن فتح باب الطائرة حتى استقبلتنا نسائم باردة منعشة على غير ما كنت أتوقع ، برغم أن الشمس كانت ترحف الى كبد السماء . وأخذت تلك الصورة القاتمة السوداء التي رسمها خيالي تتبدد عندما نزلنا في المدينة البيضاء .



منظر عام للجزء الجنوبي الشرقي من مدينة الوجه ويبدو في أقصى الصورة مدرستان للبنين أحدهما متوسطة والأخرى ابتدائية .

وأهالي الوجه شعارهم النشاط والعمل . فهم يعتمدون على التجارة ، وصيد الأسماك ، والزراعة على نطاق ضيق ، الا أن كثيرا منهم يعملون في أجهزة الدولة .

وإذا كنت في الوجه فحذار أن تلقي بورقة في الشارع ، أو تطرح بعض النفايات خارج منزلك أو دكانك ، والا عرضت نفسك لدفع غرامة قدرها «خمسون» ريالاً . ولن يتهاون رئيس البلدية السيد «عباس حمزة أحمد» في هذا الأمر طالما أنه أمر بوضع برميل أمام كل بيت لجمع القمامة . وفي أثناء النهار تمر سيارات البلدية على هذه البراميل وتطرح محتوياتها بعيدا عن المدينة . ويتقبل الأهالي تلك الأنظمة بصدر رحب بل ويشنون على من يطبقونها . ولهذا كانت الشوارع نظيفة ، والأسواق القديمة منها والحديثة تخلو من كل ما يكدر النظر .

## الوجه وضواحيها

كانت الوجه في عهد العثمانيين مركزا تجاريا مهما لقلب الجزيرة . وقد أطلق عليها الأتراك لقب «برنجي قضاء» لتقدمها . وقد كانت لها علاقات تجارية مع مصر والسودان ، اذ كانت

وفي الصباح الباكر تشاهد البدو قادمين من الشرق مع مواشيهم وإبلهم المحملة بالفحم الخشبي والسمن ، والصوف ، وحشيش «القبأ» المجدول كالضفائر ، وهم متجهون نحو السوق القديم في محلة «الساحل» . كما أنك تشاهد صيادي الأسماك في قواربهم الصغيرة ، وهم عائدون من رحلات الصيد في الليل ليلقوا بأحماصهم في سوق السمك القائمة على طرف الخليج الشرقي .

## مجتمع نشيط

يذكر محمد ليب البتوني في كتابه «الرحلة الحجازية» عام ١٩١٠م أن في الوجه نحو أربعين بيتا صغيرا وأن عدد أهلها لا يزيد على ٥٠٠ نفس كلهم تقريبا عائلة واحدة تسمى عائلة «البيديوي» . هذا ما ذكره البتوني عن حجم الوجه وعدد سكانها ، الا أنها الآن تضم زهاء ١٥ ألف نسمة ، وإن يد العمران أخذت تنشط في الآونة الأخيرة ، فامتدت على طول الهضبة شمالا وشرقا . وقد قامت البلدية بتخطيط جديد للمدينة ، فشقت الشوارع الواسعة ، وبنت الأسواق الحديثة .

وطراز بيوتها ، وأسلوب حياتها . وفوق ذلك كله سماحة أهلها ، وطيبتهم ، وكرمهم ، وتعاطفهم ، ونشاطهم ، وجهم للغريب . ان اقامة فندق سياحي حديث فيها سيعود عليها بالنفع العظيم ، ويجلب اليها المصطافين من جميع أنحاء المملكة ، بل ومن الخارج أيضا .

## شروق .. وغروب

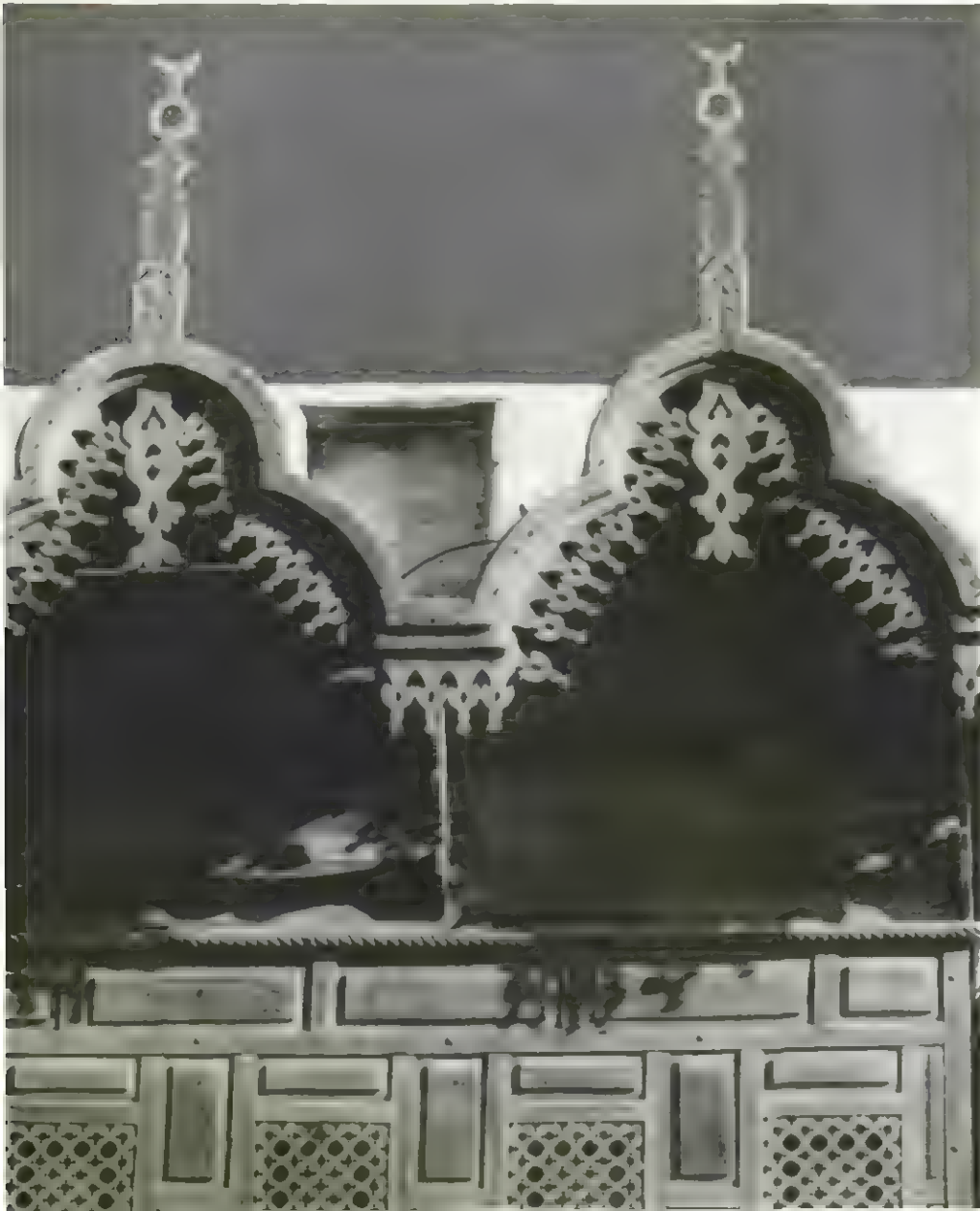
تبدو الوجه في أروع بهائها وروبقها قبيل شروق الشمس وقبيل غروبها .. عندما تقف على حافة الربوة عند الزاوية الجنوبية الغربية . التي تطل على وادي «زريب» الأخضر ، ومن ورائها يقف شامخا جبل «الحميرة» ذو الصخور النارية الداكنة ، والقمم المسنونة كالخراب هناك مع خيوط القجر الأول سرح ناظريك في الوادي القسيح ، وأرقب ذكاء وهي تتململ خلف القمم في خفر ودلال ، وشاهدها وهي ترسل أشعتها الذهبية على أشجار النخيل في الوادي ، وعلى صفحة المياه اللازوردية في الخليج ، وعلى سطوح البيوت المعلقة على حافة الربوة . ثم أرقب ذكاء ثانية وهي تغرق في اللجة شيئا فشيئا مخلقة وراءها وشاحا أحمر .





منظر عام لمبنى المستشفى الحكومي في مدينة الوجه .

الرواشن الجميلة .. من أساليب البناء القديمة في الوجه ، لكنها اليوم في طريقها الى الزوال .

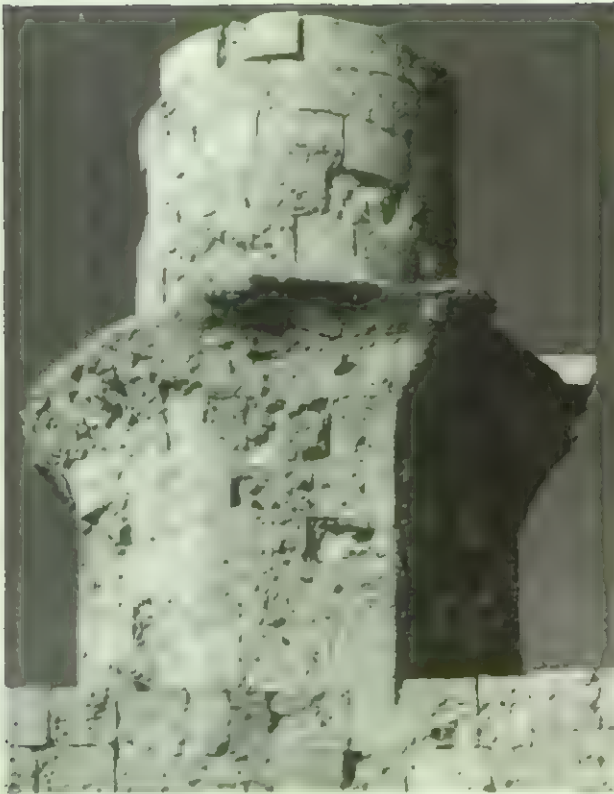


تصدير لهما ، بالسفن الشراعية ، الأغنام والأبل  
والسمن والصمغ والقمح الخشبي والفسيح ، وتعود  
السفن محملة بالأرز والسكر والمنسوجات والعسل  
الأسود والجبن والبصل والفاكهة والذرة وزيت  
الحوث .

وكانت الوجه تستمد شهرتها وأهميتها قديما  
من ركب المحمل الذي كان يمر بها ، فكانت  
محطاً لرجال المحمل ، حيث كانت تنصب فيها  
الأسواق وتوزع الهبات على الأعراب . وتضم الوجه  
الآن أربعة أحياء هي محلة « الساحل » ومحلة  
« القرية » و « النزهة الشمالية » و « النزهة الشرقية »  
المعروفة « بالفريعة » . ولكل محلة عمدة يتولى  
شؤونها الخاصة . وفي بلدة الوجه عدة « هجر »  
ينزل فيها البدو ، وخاصة في فصل الصيف .  
وغالبية البدو ينتمون الى قبيلة « بلي » والبعض  
الى « الحويطات » . وتتوفر آبار المياه في هذه  
الهجر ، ويقوم البدو بزراعة الخضار ، لا سيما  
في بطون الأودية التي أصابها السيل . أما في فصل  
الربيع فينتقلون الى مناطق أخرى ، طلباً للكلأ  
والعشب . وأهم هذه الهجر هي : الهراصة ،  
والمنجور ، والتابع ، والبركة ، والحفيرة ،  
والكر ، وبدا ، وأبا القزاز ، وخربه ، ونقه ،  
وأبو زريبات ، والحسنة . وتمتد منطقة الوجه  
شرقا حتى تصل الى سكة حديد الحجاز ، وجنوبا  
الى وادي الحمض على بعد ٧٠ كيلومترا ،  
وشمالا الى وادي « دما » على بعد ١٢٠ كيلومترا .  
وتكثر الأودية في هذه المنطقة ، وكلها تنحدر  
من جبال السروات ، وتتجه نحو البحر الأحمر .  
ففي شمال الوجه تقع الأودية الآتية : زاعم ،  
وحرامل ، والسيح ، وعنتر ، وثلبه ، وسعف .  
وفي جنوب الوجه يقع وادي زريب ، والمياه ،  
والعرجة ، والمسماة ، والمرأ ، والرّمحية ،  
ووادي الحمض . وفي شرق الوجه يقع وادي بدا .

## طابع البناء في الوجه

تتبع بيوت الوجه القديمة في طراز بنائها النمط  
المعماري السائد في حوض البحر الأبيض المتوسط .  
فبيوت محلة « الساحل » ، التي تعتبر أقدم حي  
في المدينة ، مبنية بالحجارة الكلسية والطين ،  
ويجري تليس الجدران من الداخل والخارج  
بطبقة من الجص (التورة) . ويلاحظ أن الجدران  
مرتفعة ، اذ يصل ارتفاع الجدار الى أكثر من  
خمس أمتار . وتتميز الجدران بكثرة شبائيكها ،



بقايا مئذنة تابعة لجامع أثري في قلعة الزريب في مدينة الوجه .

الواجهة الأمامية لدخول قلعة الزريب وقد نقش عليها بعض الكتابات الأثرية .



تمتاز الوجه بنظافة شوارعها وهدوئها ، ويرى أمام كل منزل وعاء لسقط المتاع وضعت البلدية ، وفرضت غرامة قدرها خمسون ريالاً لكل من تسول له نفسه رمي النفايات في الشوارع .



فيحوي كل جدار بين أربعة وخمسة شباييك صغيرة متلاصقة لا يزيد طولها وعرضها على نصف متر ، وهي قريبة من السقف ومشبكة بقضبان خشبية مزخرفة . أما السقف فهو مؤلف من الخصير المخلوط بالطين ، ومن تحته يسط سعف النخيل ، ويقوم السقف على جسور من جذوع شجر السدر وأعمدة من خشب القندل المتين . وفي الواجهة الأمامية يقوم الباب الرئيسي للبيت ، وهو مقنطر في الغالب ، وفي وسطه فتحة تسمى «خوخة» مقوسة من أعلى ، تستعمل للدخول والخروج دون الحاجة لفتح الباب الكبير . ولما لم تكن في ذلك الحين أقفال ومفاتيح حديدية استعاض عنها بعمل «ضبة» ومفتاح من الخشب ، ولكل ضبة سرها الذي لا يعرفه سوى صاحب البيت والنجار .

فاذا ما تركنا بيوت الساحل وصعدنا الى البيوت المبنية على الرتبة ، نجد أنها تشبه في جوهرها بيوت الساحل ، من حيث استعمال الحجارة الكلسية ، الا أنها تختلف في تصميمها . فالجدران تتألف من أربعة «مداميك» ارتفاع الواحد منها متر ، ويوضع بين المداميك والآخر ألواح خشبية ليزداد الجدار بها تماسكا . أما الشباييك فهي واسعة ولا يقل عددها عن ثلاثة في كل جدار . ويتألف السقف من ألواح خشبية تعتمد على أعمدة من خشب «الحور» . وللبيوت المؤلفة من طابقين رواشن خشبية مزخرفة ذات أفاريز تدل على ذوق رفيع . ويغلب أن يكون للبيت سلم خشبي خارجي يؤدي الى الطابق الثاني . أما اللون الغالب الذي يستعمل في طلاء الشباييك والأبواب والجدران من الداخل فهو اللون الأزرق أو الأخضر . فالمدينة ببيوتها البيضاء الناصعة تتم عن صفاء قلوب أهلها وطبيعتهم . أما الآن فقد أخذ بعض الأهالي يتجهون الى استعمال الاسمنت المسلح والطوب في البناء .

## ثروة سمكية هائلة

تفرد الوجه بتوفر جراد البحر «ستاكوزا» في مياه شواطئها ، وهي تكاد تستمد شهرتها منه ، وجراد البحر حيوان بحري بشع المنظر ، يتراوح طوله بين قدم واحدة وثلاث أقدام ، ويعيش في مياه الشواطئ الضحلة في الشعاب الصخرية وهو يختبئ في النهار في شقوق الشعاب ويخرج في الظلام ليأكل الطحالب والأعشاب البحرية . وله عشر أرجل طويلة ، وأربعة قرون

يمتاز جراد البحر عن غيره من الأسماك بلحمه اللذيذ الطعم ، ويجري صيده عادة أثناء الليل حيث يصطحب الصياد معه ، فانوسا يسلط نوره عليه فيتسمر في مكانه .



جراد البحر من الحيوانات البحرية العديدة التي تزخر بها مياه مدينة الوجه .



الشمس وهي تجنح الى غدرها ، فإ أروعه من منظر طبيعي خلّاب . وشكلها الغريب يعود الى وجود بعض النجوم .

يحول الى فسيخ ويصدر الى الأردن ، وكذلك يكثر سمك القرش ، والخصان ، والفرس الذي يصل طول الواحد منها الى ثلاثة أمتار .

ومن أسماك السمار : البهاوا ، والنجل ، والتونا ، والشطف ، والسيزانا ، والقاصة ، والعمبرة ، والحريدة ، والسحلة ، والخرم ، والتربانة ، وفصائل متعددة من سمك الشعور . ويباع السمك في الوجه بالربطة لا بالوزن ، وهو رخيص جدا ، ويصدر أكثره بالتلاجات المتنقلة الى العلا وجدة والمدينة المنورة وغيرها . أما جراد البحر فيصدر الى أوروبا .

باليد . ويمكنه البقاء حيا خارج الماء نحو أربع وعشرين ساعة .

وأرغب جزء في جراد البحر كتلة بيضاوية من اللحم الأبيض يتراوح وزنها بين ١٠٠ و ٢٠٠ غرام تستخرج من عظم الذيل ، ويبلغ ثمنها نحو ١٥ ريالاً .

أما الأسماك فمتنوعة ، ويجري تصنيفها الى بياض وسمار . أما السمك البياض فيخلو من الحسك ، ويشند الطلب عليه ، ومنه الدراك ، والقزّه ، والصليخة ، والكظم ، والعقام ويطلقون عليه اسم « ذئب البحر » ، وهو من الأسماك المؤذية . ومن الأسماك المشهورة البوري الذي

للاستشعار ، وذيل عريض يتألف من عشر فقرات وينتهي بزعنفة عريضة ، وله مفصل بين الذيل والظهر ، كما ان له أستانا قاطعة ، وعينين سوداوين بارزتين يحركهما في جميع الاتجاهات ، وفوق كل عين شوكة تحميها . ومنه ما هو أسود أو رمادي أو أشهب .

أما طريقة صيده فغريبة ، اذ يذهب الصيادون لصيده ليلا عندما يكون القمر في المحاق أو حوالي ذلك . ويأخذ الصياد معه مصباحا يدويا ، ويدخل في الماء على سيف البحر وعندما يعثر على جراد البحر يسلط ضوء المصباح على عينيه فيتسمر جراد البحر في مكانه ، وعندها يؤخذ





▲ قلعة «الزريب» الأثرية وتبعد حوالي تسعة كيلومترات شرقي مدينة الوجه ، وقد كانت فيما مضى تستعمل كمحطة للمحمل وهو في طريقه الى مكة المكرمة أثناء موسم الحج .

▼ يغلب على مداخل البيوت القديمة في مدينة الوجه ، الطراز القنطري ، ويسندو هنا الجزء العلوي لأحدها .



## يَسْرَبُونَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ

ان أشد ما كانت تعانيه مدينة الوجه هو قلة المياه ، وخاصة في أشهر الجفاف ، فقد كان ينقل لها الماء الصالح للشرب من بئر « أبا القزاز » التي تبعد نحو ٧٥ كيلومترا الى الشمال الشرقي من الوجه . كما كانت الوجه تعتمد على صهاريج قديمة تجمع فيها مياه الأمطار . وكانت هذه الصهاريج تبنى بالحجارة الكلسية وتكسى مسن الداخل والخارج « بالجير » حتى لا يتسرب الماء منها . ويبلغ طول الصهريج ما بين ١٠ و ١٥ مترا ، وعرضه حوالي ثلاثة أمتار ، وعمقه حوالي عشرة أمتار ، وله سقف مقنطر ودرج جانبي ينزل عليه الانسان ويغرف الماء بدلو . وفي كل جدار نحو ستة مزاريب يسيل منها الماء الى داخل الصهريج .

وقد بادرت الدولة بتوفير الماء والكهرباء لمدينة الوجه الجميلة ، ففي عام ١٣٨٨ تم انشاء محطة تحلية مياه البحر التي يبلغ انتاجها ٦١٠٠٠ غالون من الماء العذب يوميا ، ومدت شبكة من الأنابيب لايصال الماء الى البيوت .

## اقبال شديداً على التعليم

تأسست أول مدرسة ابتدائية في الوجه عام ١٣٣٠ هـ . وشيدت في عام ١٣٨١ مدرستان على الطراز الحديث ، احدهما ابتدائية والأخرى متوسطة . ويستطيع المرء أن يلمس بوضوح تطور وعي البدو تجاه التعليم عندما يعلم أن أكثرهم يفضل السكنى في ضواحي الوجه ليتمكن ابناؤهم من الالتحاق بالمدارس . وبالوجه أيضا مدرسة ابتدائية للبنات ، تأسست في عام ١٣٨٢ هـ . وتزعم رئاسة مدارس البنات انشاء مدرسة حديثة للبنات .

## الخدمات الصحية

كان بالوجه قديما محجر صحي يقدم خدماته للحجاج الذين يمرّون بالوجه ، ثم حول الى مستوصف عام ١٣٥٦ هـ بعد أن توقف الحجاج عن المرور بالوجه . وفي عام ١٣٨٩ هـ شيد في مكان مرتفع يطل على البحر الأحمر مستشفى ضخم مكون من ثلاثة أجنحة ويضم أكثر من خمس عيادات مختلفة ، بالإضافة الى مختبر ، وغرفة للأشعة ، وغرفة للجراحة .

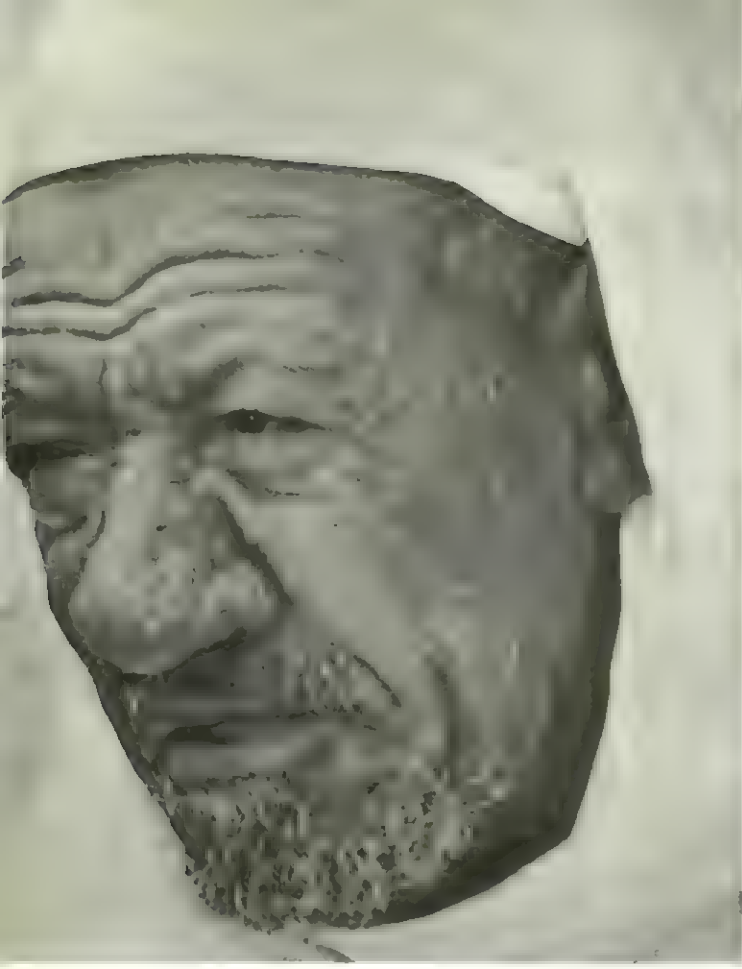


الوجه مدينة غنية بالأسماك .. ويبدو هنا نوعان من أنواع السمك المتوفر فيها .



« السرطان - Crab » من حيوانات البحر التي تكثر على شواطئ مدينة الوجه ، ويبدو هنا وهو يشق طريقه بين الحصى والأصداف أثناء خروجه من جحره على الشاطئ .





وجه من الوجه : الحاج قاسم عبدالله . ويبلغ من العمر ٩٥ سنة .

الخزان الرئيسي التابع لوحدة تحلية المياه ، ومنه يجري توزيع مياه الشرب على المساكن في مدينة الوجه بواسطة الأنابيب . ويرى تحته واحد من صهاريج جمع المياه التي كانت تستعمل سابقا .

## المواصلات

تعتبر الوجه ثالث ميناء على البحر الأحمر بعد جدة وينبع ، وقد كانت البواخر والسفن الشراعية ترسو في خليجها . وكانت بواخر الشركة الحديوية تقوم برحلات منتظمة من السويس الى جدة ، ومنها الى الوجه . وبالرغم أن رصيف الميناء الحالي لا يسمح برسو البواخر الكبيرة الا أنه عندما بدئ في انشاء مبنى المطار رست عليه باخرة ضخمة محملة بالاسمنت . وهناك الآن مشروع قيد الدرس لبناء رصيف بحري ، وتعميق ممر البواخر . وترتبط الوجه بمدن المملكة جوا . اذ تقوم طائرات الخطوط السعودية برحلات منتظمة الى الوجه كل يوم تقريبا .

وتفتقر الوجه الى طريق معبد يربطها بالمدن القريبة منها ، الا أنه تم أخيرا مسح وتخطيط طريق ساحلية تبدأ من ينبع وتمر بالوجه وتتجه شمالا ، ومن المتوقع أن تباشر وزارة المواصلات

وتنمو في الجبال وفي الأودية أشجار برية كبيرة منها : السمر ، والطلح ، والدوم ، والأراك ، والخرجل ، والعرن ، والنبق ، والحرمل ، والسيال ، والضمرم ، والعشار ، والشراة ، والعوسج ، والخروع ، والضمرة . كذلك تنمو شجيرات صغيرة ، تتخذ من بعضها الأودية ، ومنها : النعناع البري ، والجعدة ، والشيخ ، والبغثيران ، والسمنكي ، واللصيق ، والنتول ، والشكاعة ، والبروق ، والسنا ، والسيكران . وتنتب عقب نزول الأمطار والسيول أعشاب برية كبيرة منها : الرطريط ، والقطباء ، والحوذان ، والقبأ ، والرأبل ، والحوة ، والعثير ، والحميمض ، والخيزرة ، وركبة العجوز . وتكثر الطيور في الجبال والأودية كالحمام البري (القمري) ، والحجل ، والرهيدن ، والزرزور ، والهدهد ، والغراب . كما تكثر الأرانب ، والغزلان ، والوعول ، والثعالب ، والقناقد ، والنيص ، والظرمبول . ويحظر القنص والصيد في المنطقة حاليا .

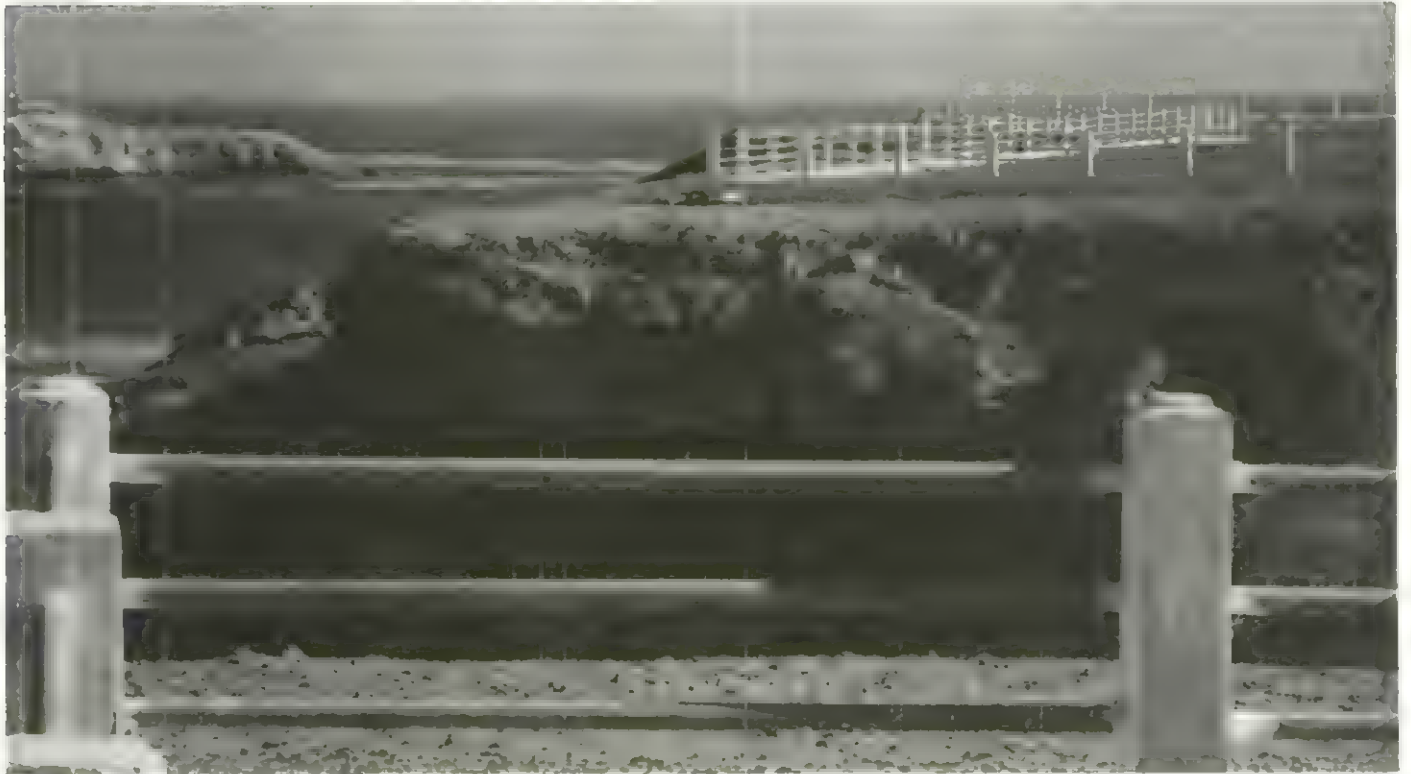
قريبا سفلتة هذه الطريق التي ستجني منها الوجه نفعا عظيما . وجدير بالذكر أن من أهم وسائل المواصلات والنقل في المدينة هي الدراجات النارية . فلا يكاد بيت في الوجه يخلو من واحدة منها . وكل شاب يتقن بتزيين دراجته ، ويكتب على اللوحة الأمامية آية قرآنية أو حكمة أو مقطع أغنية غرامية .

## الزراعة

تعتمد الزراعة في الوجه عامة على الأمطار . ففي بطون الأودية يزرع الأهالي البطيخ والشمام والدخن . وفي «الهجر» ، التي سبق ذكرها ، حيث تتوفر الآبار الارتوازية ، تزرع الخضار وأشجار الليمون والرمان . وتمتاز الأراضي ، ولا سيما في بطون الأودية ، بخصبها ، فهي رملية متماسكة تميل الى الحمرة ، ولا ينقصها الا الماء لتنبت كل ما يمكن انباته .



يستعمل الصيادون في الوجه الشباك لصيد السمك .  
 حواجز أقامتها بلدية الوجه على طول الساحل لحماية الأطفال والمسنين من السقوط فيها .





## الآثار التاريخية

تزهو الوجه بكثرة آثارها التي خلفها العثمانيون في المنطقة ، لا سيما وأن الوجه تتمتع بموقع استراتيجي مهم منذ القدم . ففي وسط المدينة وعلى مرتفع من الربوة ، تقوم قلعة « الوجه » الحصينة ، وهي مبنية من حجر أحمر صواني ، وبها برج شامخ يشرف على البحر .

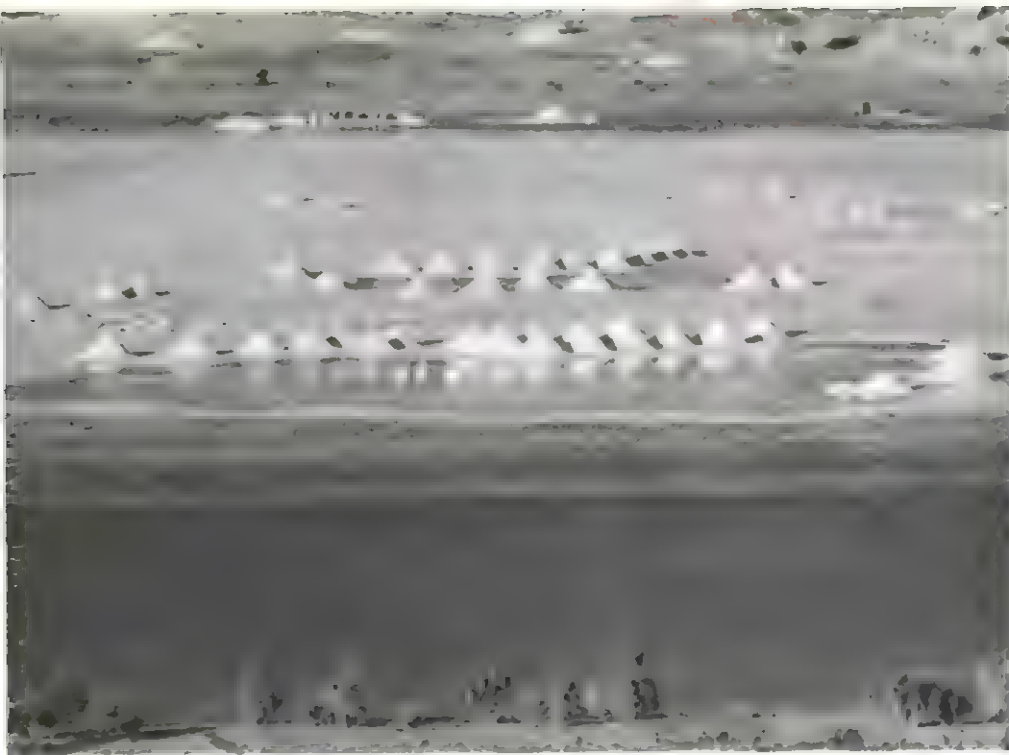
وتقوم على الطرف الجنوبي الغربي من الخليج منارة لهداية السفن ، لا تزال بقاياها قائمة إلى الآن . أما أشهر الآثار التي لا تزال تشهد بعظمة الوجه فهي قلعة « زريب » الواقعة على بعد تسعة كيلومترات شرقي الوجه ، وهي قلعة مربعة طولها ٦٠ متراً مبنية في سفح جبل الحميرة بحجارة الدومر الحمراء المقصبة . وللقلعة أربعة أبراج ، في كل منها ثلاث فتحات . وفي الجهة الشمالية ثلاث برك كبيرة ، وحوفاً عدد من الآبار ، أشهرها « المقرونة » التي يستقي منها البدو ، وبئر « زريب » ، وبئر « هداج » .

## النشاط الرياضي والاجتماعي والادبي

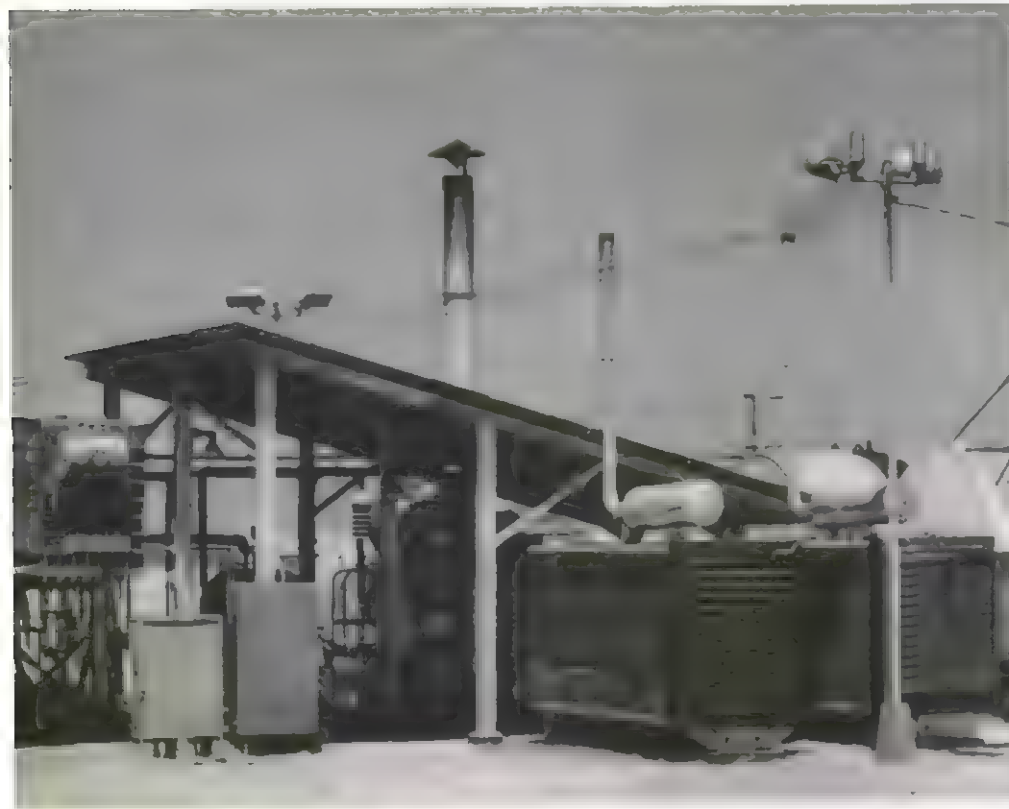
ميزة ينفرد بها الوجهي وهي نشاطه الرياضي والاجتماعي ، بغض النظر عن السن والمركز . فأميز الوجه وقد ناهز السبعين لا يتوانى عن رياضته المحببة إليه ، وهي المشي مع الفجر مسافة أربعة كيلومترات على الأقل ، ولهذا تراه يتمتع بحيوية بحسده عليها الشباب . والهواية المحببة لدى أهالي الوجه هي صيد السمك . فيذهبون مساء إلى الشواطئ الجميلة ، ويقضون أمتع الأوقات هناك في الصيد وقلي السمك في العراء .

وفي الوجه عدة أندية أهمها : نادي الربيع الذي تأسس عام ١٣٨١ هـ ، وهو ناد رياضي ثقافي اجتماعي . وهذا النادي ينظم الحفلات الغنائية والموسيقية ، والندوات الأدبية ، كما يشترك فريقه في مباريات كرة القدم مع المدن المجاورة . ويحتفظ فيه بملف لكل مشترك ، يذكر فيه نشاطه الرياضي والاجتماعي وهواياته . ويصدر النادي مجلة شهرية اسمها « مجلة الربيع » تعالج فيها أقالام النادي موضوعات حيوية تهم مدينتهم وأهاليها .

إن مدينة الوجه تبشر بمستقبل زاهر ، خاصة وأن هناك مشاريع حيوية سترفع من قدرها ومكانتها كمشروع شارع الكورنيش ، وتشجير الشوارع ، وبناء الحدائق العامة ، وغير ذلك ■ تصوير : خليل أبو النصر سليمان نصر الله



يقوم بعض سكان مدينة الوجه باستخراج الملح من مياه البحر الأحمر وتجفيفه بواسطة ملاحات .



جانب من معمل تحلية المياه في مدينة الوجه ، وتبلغ طاقته حوالي ٦١.٠٠٠ غالون يومياً

# الخطر

## عَمَدُ الْإِنْسَانِ الْأَكْبَرُ!

**الخوف** ظاهرة طبيعية لدى الانسان ،  
بدليل أن علماء النفس يضعونه على  
رأس قائمة الانفعالات الأصلية التي نلمسها لدى  
المولود الصغير . ونحن لا ننكر أن الحاجة الى  
الأمن قد عملت على ظهور الكثير من المخاوف  
لدى الانسان ، ولكننا نميل الى الظن بأن جانباً  
غير قليل من جهود الانسان المعاصر قد أصبح  
يستهدف القضاء على الكثير من مصادر الخوف  
في حياة الوجود البشري . صحيح أن بعض علماء  
النفس الأقدمين كانوا يتحدثون عن « غريزة  
خوف » ولكن علم النفس الحديث قد أثبت  
أنه ليس هناك « غرائز » ، بل هناك ميول فطرية  
أو « حاجات أصلية » ، تقبل التعديل والتحويل  
والإبدال والاعلاء ... الخ . فليس ثمة غريزة  
محددة ، جامدة ، متصلة ، يمكن أن نطلق  
عليها اسم « غريزة الخوف » ، بل هناك « وظيفة  
نفسية » يضطلع بها الخوف في حياة الوجود  
البشري ، وتلك هي حماية الذات الفردية ضد  
أخطار العالم الخارجي ، وضد كل ما قد يكون  
من شأنه أن يهدد سلامة الانسان . ومعنى هذا  
أن الخوف « انفعال طبيعي » يقوم بدور حيوي  
هام في صميم الحياة النفسية للكائن البشري .  
ولو قال لنا أحد انه لا يخاف شيئاً ، ولا يهرب  
أحداً ، لكان هذا الشخص ضحية لأخطر نوع  
من أنواع الخوف : الا وهو الخوف من مجابهة  
الواقع ، ومواجهة الحقيقة !

والحق أن التجربة تشهد بأن الطفل يخاف ،  
والرجل البدائي يكاد يقضي معظم حياته في  
مخاوف مستمرة . ولكننا قد نتوهم أن الرجل  
الناضج البالغ لا يخاف ، وكأن من شأن النضج  
العقلي أن يقضي تماماً على كل أسباب الخوف

في النفس البشرية . ولكن الواقع يشهد - على  
العكس من ذلك - بأننا جميعاً نخاف : فنحن  
نخاف الموت ، ونخشى المستقبل ، ونهرب الحياة ،  
ونجزع من الشيخوخة ، حتى لقد زعم بعض  
الباحثين أن حياة الوجود البشري تكاد تمثل  
سلسلة متصلة الحلقات من المخاوف المستمرة !  
وليس من شك عندنا في أن الخوف قطب هام  
من أقطاب الحياة الانسانية ، ولكنه قطب « سلبي »  
ينبغي أن يقابله ذلك القطب « الايجابي » الهام  
الذي اعتاد علماء النفس أن يطلقوا عليه اسم  
« الشعور بالأمن Security » . ولو قدر لأي  
موجود بشري أن يعدم تماماً كل احساس بالأمن  
أو الطمأنينة ، لكانت حياته نهبا للمخاوف أو  
المخاطر ، ومثل هذه الحياة انما هي الموت قبل  
الموت ! ولم يقل علماء النفس بضرورة بقاء  
الأم الى جوار ابنها ، خلال سنوات الطفولة  
المبكرة ، الا لأنهم قد لاحظوا أن في ابتعادها عن  
طفلها تهديداً خطيراً لشعوره بالأمن . والواقع أن  
الطفل في حاجة ماسة الى « الشعور بالأمن » ،  
لأن هذا الشعور هو السياج الضروري الذي  
ينبغي أن تحاط به حياته النفسية ، خصوصاً في  
السنوات الخمس الأولى من عمره ، بل ان  
الانسان البالغ نفسه هو في حاجة أيضاً الى مثل  
هذا الشعور ، لأنه هيهات لانسان تستبد به  
المخاوف ، أن يكون كائناً متكاملًا متوازناً ،  
يمكن الركون اليه ، أو الاعتماد عليه ..

ولكن ، لا بد لنا - بادئ ذي بدء -  
من التفرقة بين نوعين من المخاوف : « مخاوف  
سوية - Normal » ، نلاحظها لدى العاديين  
من الناس ، كالمخوف من المجهول ، والخوف  
من المستقبل ، والخوف من الخطر ، والخوف



## بقلم الدكتور زكريا ابراهيم

من المرض ... الخ ، و « مخاوف مرضية - Morbid » لا نلاحظها الا لدى الشواذ أو المنحرفين أو العصبيين من الناس : كالخوف من الغرباء ، والخوف من النساء ، والخوف من المجتمع ، والخوف من العمل ، والخوف من المسؤولية ... الخ . وقد يكون من الطبيعي للجنس الواحد أن يتردد قبل الاقدام على الاختلاط بالجنس الآخر ، ولكن هذا التردد قد يستحيل الى خوف مرضي حينما يصبح الشاب (مثلا) عاجزا تماما عن تحقيق أي ضرب من ضروب الاتصال بعروسه . وليس هناك أدنى غرابة في أن يخشى المرء المرض ، وأن يحاول الابتعاد بنفسه عن مواطن العدوى ، ولكن الغرابة في أن يفصل شخص يديه بعد كل مقابلة يصافح فيها شخصا آخر ! وفي مثل هذه الحالة يستحيل الخوف من المرض الى مرض نفسي قد يصبح أن نسميه باسم « مرض النظافة » ! وليس من الغرابة في شيء أن يتردد المرء قبل الاقدام على تنفيذ أي عمل كبير ومخاطر ، ولكن الغرابة أن يستمر التردد فيشل ارادته تماما ، وعندئذ لا يلبث الخذر أن يستحيل عنده الى خوف دائم من المسؤولية ، وعجز تام عن العمل ! وهكذا ترى ان « المخاوف المرضية » هي في معظم الأحوال أعراض تصاحب العديد من الأمراض النفسية : لأنها أعراض غريبة تولدها مؤثرات وهمية ، أو منبهات غير واقعية . فالطفل الذي اعتاد في صباه الخوف من الظلام ، أو الذي نشأ في بيئة تقوم التربية فيها على التخويف ، أو الذي تكونت شخصيته في كنف نظام تربوي صارم ، تقول ان مثل هذا الطفل قد يكون معرّضا - أكثر من غيره - للوقوع تحت طائلة المرض النفسي . وليس من

شك في أن الخوف حليف « القلق » ، فان الطفل الذي نشأ على الخوف لا يمكن أن يكون طفلا آمنا ، وبالتالي فانه سرعان ما يقع ضحية لشقى ضروب القلق . وحين يعرف الطفل أن الصراحة قد تكلفه الكثير ، فان خوفه من الكبار ، وحرصه على تجنب العقاب ، قد يؤديان به الى الكذب . ومن هنا فقد يكون من الحديث المعاد أن نقول أن الخوف أيضا حليف الكذب والخداع والتضليل ... الخ ، ذلك لأن الطفل الخائف - كما نعلم - لا بد من أن يجد نفسه مضطرا الى اصطناع أساليب المخادعة ، والمداورة ، والتحايل . وربما كان أخطر نظام تربوي يمكن أن ينشأ في أحضان جيل من الأجيال ، هو ذلك النظام الارهابي الذي يعتاد فيه الأطفال أساليب العنف ، فلا يجدون بدا من الاستجابة لها بشتى مظاهر الخوف ، وعندئذ تنعدم الثقة بين الصغار والكبار ، ويفقد الطفل كل احساس بالأمن ، وتستحيل الحياة الاجتماعية الى جو ارهابي من التوجس والتخوف !

أنا انتقلنا الآن الى الأنظمة الاجتماعية ، ولوجدنا أن النظام الاجتماعي السليم لا يمكن أن يقوم على دعامة من العسر والارهاب والتخويف ، أو الضغط . صحيح أن المجتمعات قد تحتاج في بعض مراحل تطورها الى أنظمة صارمة ، تقرر الحزم بالشدة ، ولكن من المؤكد أن الشدة .. وحدها لا يمكن أن تحقق لأي مجتمع ما يصبو اليه من استقرار ، وهدوء ، ورفق ، ونمو مطرد ..

فان الاحساس بالأمن هو الشرط الضروري لقيام المجتمع السليم . وهذا ما يدفعنا الى القول بأن صمام الأمن في أي جهاز اجتماعي انما هو

هذا الشعور بالطمأنينة أو الأمن ، لأنه لو انعدم هذا الشعور من نفوس الأفراد ، لانهار الكيان الاجتماعي بأسره ، وبالتالي لأصبحت الحياة الاجتماعية نفسها أثرا بعد عين !

على أننا لو أنعمنا النظر الى عالمنا المعاصر ، لأدركنا أنه لم يعد يقتصر في تربيته للأجيال الصاعدة على بث روح الأمن والطمأنينة في نفوسهم ، بل هو قد أصبح يحرص أيضا على تزويدهم بروح المغامرة والمخاطرة . وليست هذه الأعداد المتزايدة من رواد الفضاء سوى نموذج واحد - بين نماذج أخرى عديدة - لهذا الجيل المخاطر الذي أخذت بوارده تظهر في الآفاق . والحق أن الشباب المعاصر قد أخذ يدرك أن « الخوف » هو العدو الأكبر للإنسان ، ومن ثم فقد راح يحطم كل قيود الخوف ، ويعمل جاهدا في سبيل التحرر من كل أسباب الجبن أو التهيّب أو التوجس ! وهكذا أصبح الشباب المعاصر على استعداد للقيام بأية مخاطرة في سبيل ارتياد عالم الفضاء والوصول الى الكواكب النائية ، والعمل على اكتشاف تلك العوالم المجهولة ! ولم يتردد شباب العالم الحديث في مكافحة المجاعة ، والفقر ، والخوف ، ايمانا منهم بأن الخوف لا يصنع الرجال !

وليس من شك في أن كل جهد تبذله البشرية اليوم في سبيل مقاومة عدوها الأكبر (الخوف) انما هو خطوة كبيرة يخطوها الانسان المعاصر على درب الحرية . وحين يتسنى للبشرية أن تحرر أبناءها من الخوف ، وأن تعمل على محو أسباب المخاوف ، فهناك يكون انسان القرن العشرين قد حقق أكبر كسب حضاري في تاريخ الانسانية كلها .. ■

# معرفة عين جالوت\*

من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي

بقلم الاستاذ عبد الحافظ كمال

المغولي الى « منغاريا » ، فأباد جيشها في هجوم ليلي ، وكذلك أخضع « بودابست » ، وقطع نهر « الدانوب » وهو متجمد . ثم توجه الى « بولندة » ، حيث بلغ أفرادها نبأ موت الامبراطور « أكوناي » . وقام النزاع بين أمراء المغول ، حتى انتهى بانتخاب « منكو » امبراطورا عليهم . ولما علم « منكو » بأن الاسماعيليين المقيمين في قلاعهم الحصينة في ايران كانوا يتعرضون لقوافل التجارة المغولية ولجيش المغول أرسل أخاه « هولكو » عليهم لاختصاصهم ، فوقعت تلك القلاع بأيدي المغول بعد عناء ومشقة ، ثم أكل « هولكو » طريقه غربا نحو الامبراطورية العباسية في بغداد .

هكذا خرج المغول من صحراء « غوبي » في أواسط آسيا كالبحر الهائج لا يقوى على صدهم أحد ، فاجتاحوا نصف العالم المعروف ، وأنزلوا الرعب والهلح في النصف الآخر منه لأجيال عديدة ، فامتدت فتوحاتهم من « كوريا » في شرقي آسيا ، حتى بولندة في وسط أوروبا ، ومن نهر « الفلجا » في روسيا شمالا ، حتى نهر السند جنوبا . ثم اكتسح المغول بقيادة هولكو العراق ، ودمروا بغداد ، وحرقوا دور العلم وخزائن المعرفة فيها ، وأخضعوا سوريا لحكمهم ، ووصلت طلائع جيوشهم الى مدينة غزة ، وطعموا في مصر والشمال الافريقي ، فبعث هولكو برسله الى سلطان مصر يهدده ، ويطلب منه التسليم والاذعان .

كان هذا في الوقت الذي كانت فيه سوريا وفلسطين تعانيان من الحملات الصليبية المتكررة ، فقبل معركة « عين جالوت » بعشر سنين كانت الحملة الصليبية السابعة بقيادة « لويس التاسع » ، ملك فرنسا ، قد نزلت في دمياط في دلتا مصر ، وسارت نحو القاهرة ، وفي تلك الأثناء مات « نجم الدين أيوب » ، آخر ملوك الأيوبيين في مصر ، فتسلت زمام الأمر من بعده زوجته

واجهته مقاومة شديدة على الأسوار وفي الشوارع دامت أربعة أيام ، الى أن استعالت المقاومة ، فاختار المغول أربعمائة من صناعها أرسلوهم الى منغوليا ، وأما بقية السكان من رجال ونساء وأطفال فقد أبادوهم عن بكرة أبيهم . ونجت « هيرات » من هذا المصير عندما فتحت أبوابها للجيش المغولي . ثم دخل الجيش المغولي بعد ذلك بلاد السند وغزا مقاطعاتها الثلاث وخربها ولكنه سرعان ما انسحب منها عندما علم بأن أهل « هيرات » ثاروا على حاكمهم المغولي ، فحاصرها ستة أشهر دافع أهلها عنها طوال هذه المدة دفاع الأبطال ، غير أنهم غلبوا على أمرهم ، فما كان من المغول الا أن اعملوا السيف في أهلها مدة أسبوع كامل ، قتلوا فيه خلقا كثيرا . ثم توجه بعد ذلك الى اذربيجان وفتحها ، وقد حاول أمراء الروس في « كييف » صد غزو المغول ، ولكنهم فشلوا ولم يقووا على مواجهتهم . وهنا وجه « جنكيزخان » جيوشه مرة ثانية الى الصين ، وفتح قسما كبيرا من شمالها . ولما توجهت جيوشه لمحاربة القسم الجنوبي من الصين بدت ظاهرة غريبة فسي السماء ، وهي اجتماع خمسة كواكب في برج واحد ، ففسرها بأنها اشارة تتم عن سوء الطالع وترك غزواته في الصين ، وكر راجعا الى بلاده منغوليا ، حيث لم يلبث ان مات سنة ١٢٢٦ هـ ، (١٢٢٧ م) .

« جنكيزخان » بعد وفاته ابنه « أكوناي » حسب وصيته ، فتوجه هذا الى الصين ، حيث غزا قسما كبيرا منها . ثم توجه الجيش المغولي الى الغرب ، فوصل ديار بكر ، والجزيرة الفراتية ، واربل ، وجورجيا ، وأرمينيا الكبرى ، وروسيا ، ففتح قسما منها ، بما فيها مدينة « موسكو » التي لم تكن مهمة في ذلك الوقت ، ثم واصل زحفه الى « كييف » التي كانت تسمى « بأم المدن » لازدهارها ، فذبح سكانها وهدمها . ومن هناك توجه الجيش

لالمغول من بين قبائل التتر والتر وكان التي عاشت حياة بدواة في أواسط آسيا وسهولها ، وكانوا يعتمدون في حياتهم على تدجين الحيوانات وتربية الخيول ، فيأكلون لحومها ، ويشربون ألبانها . وبالإضافة الى ذلك كانوا يعيشون على صيد الحيوانات البرية في سهوب آسيا . غير أن شظف الحياة والغزوات القبلية جعلتهم شديدي المراس وأكسبتهم الجلد والصبر على مجابهة المضاعب والمشقات . ولولا ظهور « جنكيزخان » بينهم في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، أي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي ، وتوحيده لهم ، لما ورد ذكرهم في التاريخ . ويمكن القول بأن « جنكيزخان » كان له الفضل الحاسم في صهر القبائل المتنازعة ، فقد ضم جميع قبائل المغول والتتر وبعض التركمان في وحدة عسكرية قوية مترابطة جعلتهم من أقوى الجيوش واعتاها في ذلك الوقت . وقد فتح قسما من الصين وجميع آسيا الوسطى ، ووصلت جيوشه بحر قزوين وملكة « خوارزمشاه » ، التي كانت تعدّ الدولة الشرقية الحامية للامبراطورية الاسلامية في بغداد . وسرعان ما سقطت مملكة « خوارزمشاه » ، فدمر المغول مدنها وقرائها وقتلوا سكانها . ويقال بأن « جنكيزخان » عندما دخل بخارى صعد درجات الجامع الرئيسي ، وصرخ في جنوده قائلا : « لقد قطع الحشيش فأطعموا خيولكم » ، وكانت هذه اشارة لجيشه بالنهب والسلب ، وحرق بخارى وتدميرها والقضاء على حركتها العلمية والثقافية ، فقد كانت من أعظم مراكز العلم والعرافان . ومع أن « سمرقند » و« بلخ » قد استسلمتا ، الا انهما لم يسلمتا من أعمال النهب والسلب والقتل . ثم وصلت طلائع جيشه الى خراسان ، فاستولت على مدينة « مرو » الشهيرة ، وبطشت بسكانها وحرقتها ونهبت أموالها . وعندما تقدم الجيش المغولي الى مدينة « نيسابور »



المشهوره شجرة الدر ، التي أخفت على الشعب نياً موته ، وحكمت البلاد باسمه في أحلك الساعات ، اذ كانت معركة «فارسكور» قد بدأت ، وكان يقود الجيش الاسلامي حينذاك القائد «بيبرس» الذي أنزل بالصلبيين هزيمة ساحقة ، وأسر «لويس التاسع» وجسه في دار لقمان الى أن اقتدى نفسه وروساء جيشه بالمال الكثير . ثم تولى الأمر «عز الدين ايبك الصالحى» أول أمراء المماليك ، ولكنه قتل ، فتولى الحكم من بعده «قطز» وذلك في عام (٦٥٧هـ - ١٢٥٩م) .

**كانت** «قطز» تركانيا هرب به أهله أمام جحافل المغول وبيع مملوكا وهو صغير في دمشق ، ثم أخذه الى القاهرة ، وارتقى في الجيش حتى جعله «ايبك الصالحى» من خواصه . ومع أن «قطز» كان تركانيا لا يحسن العربية ، الا انه كان مسلما مؤمنا وإثقا بالله ، فاجتمع اليه القادة والمحاربون المسلمون على مختلف جنسياتهم ولغاتهم ، ولم يكن فيهم من لم يرزأ بأحد أفراد عائلته أو بها كلها ، فكاد ان يصل بهم الأمر الى اليأس والقنوط ، غير أن «قطز» أعاد اليهم الثقة بالله ، وأعانهم بالمال والسلاح ، وجمع بينهم ووجد قلوبهم ، فانقلب بأسهم الى عزم ، وتفرقهم الى وحدة .

وفي أواخر شعبان ٦٥٨هـ كان «قطز» يعد العدة لمواجهة أسوأ الأمور ، ويتوجس خيفة من تلك الأيام المظلمة الحالكة . غير أنه في تلك اللحظة بلغ هولاكو في دمشق ، وهو في أوج انتصاراته ، نبأ يخبره بوفاة أخيه الامبراطور المغولي «منكوخان» ، فأخفى هولاكو الأمر عن حوله ، وعين «ايل سابان» نائبا للملك

في دمشق ، كما عين قائده «كتبوغا» قائدا عاما لجيش المغول ، وقفل عائدا الى أواسط آسيا . لقد صدق حدس «قطز» ، حينما دخل عليه حاجبه ذات صباح في أوائل رمضان عام ٦٥٨هـ يخبره بصوت متهدج بأن رسل المغول بالبواب ، قدخل الوفد ، وهو يضم أربعين رجلا برئاسة قائد بشع الصورة ، شرس التقاطيع ، وقدم كتابا مغلما في حرير جميل الى «قطز» من الحاكم هولاكو ، فتناوله قطز باحترام ، وفتحته بتؤدة وقرأه ، وكان فيه ما يلي :

«ان الله تعالى قد رفع شأن جنكيز خان وأسرته ، ومنحنا ممالك الأرض برمتها ، وكل من يتمرّد علينا ويعصى أمرنا يقضى عليه مع نسائه وأبنائه وأقاربه والمتصلين به وبلاده ورعاياه ، كما بلغ أسماع الجميع . أما حيث جيشنا الذي لا حصر له ، فقد بلغ الشهرة كقصّة رستم واسفنديار ، فاذا كنت مطيعا كخدم حضرتنا ، فارسل بنا الجزية ، واقدم بنفسك واطلب الشحنة ، والا فكن مستعدا للقتال .»

**ومخبرنا** المؤرخ «رشيد الدين فضل الله الهمذاني» في كتابه «جامع التواريخ» الذي وضعه بالفارسية معتمدا على

المصادر الأصلية المغولية ، وقد ترجم جزء منه الى العربية ، بأن أكثر جيوش الشام ومصر كانت من بقايا جيش السلطان «خوارزم شاه» ، فتجمعت هذه الجيوش في مصر تحت قيادة «قطز» . وعندما وصلت رسل المغول ، أحضر «قطز» قادة هذه الجيوش ، وكذلك قائد جيشه «بيبرس» ، وعرض عليهم الأمر واستشارهم قائلا : «لقد توجه هولاكو خان من توران (أي بلاد الأتراك في أواسط آسيا) الى ايران بجيش جرار ، ولم يكن لأحد من الخلفاء والسلاطين والملوك طاقة على مقاومته ، واستولى على جميع البلاد ، ثم جاء الى دمشق ، ولو لم يبلغه نعي أخيه لألحق مصر بالبلاد الأخرى ، ومع هذا فقد ترك في هذه النواحي «كتبوغا» الذي هو كالأسد المصور ولتئين القوي في الكمين ، واذا قصد مصر فلن يكون لأحد قدرة على مقاومته . فيجب تدبر الأمور قبل فوات الفرصة .»

فقال ناصر الدين قيمري : «ان هولاكو خان فضلا عن انه حفيد جنكيز خان فان شهرته وهيبته في غنى عن الشرح والبيان ، وان البلاد الممتدة من تخوم الصين الى باب مصر كلها في قبضته الآن . فلو ذهبنا اليه لطلب الأمان



فليس في ذلك عيب أو عار ، ولكن تناول السم بخداع النفس واستقبال الموت أمران بعيدان عن حكم العقل . انه ليس بالإنسان الذي يطمأن اليه ، فهو لا يتورع عن قطع الرؤوس ، وهو لا يفي بعهده وميثاقه ، فانه قتل فجأة خورشاه والخليفة وحسام الدين عكة بعد أن أعطاهم العهد والميثاق . فاذا ما سرنا اليه فيكون مصيرنا هذا السبيل .

فقال قطز : « .. أضحت البلاد من بغداد حتى الروم ( آسيا الصغرى ) خرابا يبابا ، وقضي على جميع ما فيها من حرث ونسل . فلو اننا تقدمنا لقتلهم ، فسوف تخرب مصر خرابا تاما . وينبغي أن نختر مع هذه الجماعة واحدا من ثلاثة : الصلح ، أو القتال ، أو الجلاء عن الوطن . أما الجلاء عن الوطن فأمر متعذر ، ذلك لأنه لا يمكن أن نجد لنا مقرا الا المغرب ، وبيننا وبينه مسافات بعيدة » .

فأجاب ناصر الدين قيمري : « وليس هناك مصلحة أيضا في مصالحتهم ، اذ أنه لا يوثق بعهودهم » . أما بقية الأمراء فقد اختلفت آراؤهم . وأخيرا قالوا له جميعا « مر بما يقتضيه رأيك » . عندئذ أطرق قطز طويلا ، ثم رفع رأسه ، وقال : « ان الرأي عندي أن توجه جميعنا الى القتال ، فاذا ظفرنا ، فهو المراد ، والا فلن نكون ملمومين أمام الخالق والخلق » . فاتفق الأمراء وجميع الحاضرين على هذا القرار . ولما علم الجيش والشعب بهذا القرار أدركوا مدى التصميم الحاسم والعبء الجسيم الملقى على عاتقهم ازاء هذه المعركة المصرية .

**ف**قطز جيوش المسلمين وبدأت طلائعه تتحرك استطلاعا لجيش المغول . وكان الأمير المغولي « بايدر » قائدا للجيش المغولي في غزة ، فأسرع بالكتابة الى « كتبوغا » - وكان بالقرب من بعلبك - يخبره بتحرك جيوش المسلمين . فأجابه كتبوغا قائلا « قف مكانك وانتظر » . غير أن بييرس قائد طليعة الجيش الاسلامي داهم « بايدر » قبل وصول « كتبوغا » ، وطاردته بعض الوحدات الاسلامية حتى نهر العاصي .

فاستشاط « كتبوغا » غيظا وسار ، كما يقول المصدر المغولي ، و « كأنه بحر من الذهب لسبب الغيرة والغضب » وأقبل في منتهى السرعة معتمدا على قوته وسطوته وسمعة المغول الحربية في الشراسة وعدم الانكسار ، وقد تصور أمرا ، غير أن الله عز وجل قدر سواه .

**وكان** للمسلمين عيون بقطعة تراقب حركات جيش المغول وسكناته ، وتأنسي بأخباره أولا بأول ، بواسطة الرسل أحيانا وبالحماس الزاجل أحيانا أخرى ، كما كان للمغول في الوقت نفسه جواسيس كثيرون بين المسلمين يكتبون العدو ويراسلونه ، فكان الحذر شديدا من هؤلاء . وصلت جيوش المسلمين الى « عين جالوت » ، وهي تقع بين « طبرية » و « نابلس » ، وقرب « نيسان » في غور الأردن ، وهناك نصبوا الخيام وأعلن قطز - تضليلا للجواسيس - انهم سيمكنون هناك بضعة أيام يستجمون خلالها ، ويريحون أنفسهم وخيولهم استعدادا للحرب ضروس لا يعرف عواقبها أحد الا الله سبحانه وتعالى . وكان الشهر رمضان عام ٦٥٨هـ ، والحر شديدا ، غير أن « قطز » و « بييرس » قررا سرا ملافاة العدو عند ذلك الوادي ، فخرجوا يتفقدان الأولوية في الظاهر ويدرسان طبيعة الأرض وتضاريسها وتلالها وأوديتها وتلاعها في الباطن . وفرقا الجيش على الأودية المختلفة بحجة أن ذلك يعطي مجالا أوسع لرمي الخيل والجمال وغيرها . وتدارس قطز وبييرس الأمر مليا بعد منتصف الليل . وقررا اعداد كائن عديدة لا كئينا واحدا ، وقد وصلت الأخبار بأن « كتبوغا » قادم كالسبل على بضعة أميال من الجيش الاسلامي . فقرر قطز أن يقود المقدمة لمصادمة المغول ، وأن يقود بييرس القلب ، ثم يوعزان الى بقية الأولوية بالاشتراك في القتال في وقت لاحق تخرج الكمائ في فجأة عند اشارة معينة ، فلتحم في رعى المعركة المصرية .

**ف**يوم الجمعة ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ قام المسلمون فجرا وملأوا الأودية والسهول والآكام بالتهليل والتكبير لصلاة الصبح ، وبعدها سار قطز بالمقدمة لمصادمة الأعداء ، فالتحم الجيشان ، وكان قطز - حسب قول المؤرخ رشيد الدين - قد عبأ الجيش في كمين وأعدده خير اعداد . ثم ركب هو بنفسه وثبت مع نفر قليل من الجند ، وقابل كتبوغا مع عدة آلاف من الفرسان كلهم من أهل الحرب والمراس في « عين جالوت » ، فقتل المغول بسهامهم وحملوا على المسلمين ، فراجع قطز وبدا أن جنوده لحقت بهم الهزيمة . هنا تشجع المغول وتعبقوه ، وقتلوا كثيرا من المسلمين الذين استدرجوا المغول الى بقعة معينة ، فخرجت الكمائ من ثلاث جهات ، وكان أن عملت أولا على إيقاف اندفاع الجيش المغولي ، ثم على صدمه ، ثم على تطويقه . وكان جيش

المغول يقاتل قتال الواثق المتمرس المطمئن الى الغلبة الى ما بعد القبلولة . وقبيل العصر بدأ الوهن يظهر في الجيش المغولي ، فبدأت جموعه تشتت ، ووحداته تتفرق حتى انه لم يبق من الجيش المغولي الا شذمة التجأت الى غابة من القصب هناك ، فأمر قطز باشعال النار فيها فأنت على من فيها من المغول ، ومن خرج منها أدركته السيوف والأسنة بيد أن « كتبوغا » ثبت وبقي يضرب يمينا وشمالا غيرة وحمية . وكان يكر على المسلمين ، فرغبه جماعة من أتباعه بالحرب ، غير أنه رفض ، وقال « لا مفر من الموت هنا ، فالمت مع العزة والشرف خير من الحرب مع الذل والهوان ، وسيصل رجل واحد ، صغيرا أو كبيرا ، من أفراد هذا الجيش الى حضرة الملك ، ويعرض عليه كلامي قائلا : ان كتبوغا لم يشأ أن يتراجع وقد كلفه الخجل فضحى بحياته الغالية فسي سبيل واجبه » .

ويزعم المصدر المغولي بأن « كتبوغا » : رغما عن أن جنوده تركوه وحده ، ظل يكافح الى أن كبا به جواده في نهاية الأمر فأسر وأسر معه ابنه ، ثم حمل مكبلا الى قطز ، فدار بينهما حوار أورده المؤرخ رشيد الدين ، نشبه هنا مع الاختصار :

**قطز** : أيها الرجل الناكث العهد ، ها أنت بعد أن سفكت كثيرا من الدماء البريئة ، وقضيت على الأبطال والعظماء بالوعد الباطلة وهدمت البيوتات العريقة بالأقوال الزائفة المزورة ، قد وقعت أخيرا في الشراك .

**كتبوغا** : أيها الفخور المغتر ، لا تنباه كثيرا بيوم النصر هذا فانا اذا قتل على يدك اعلم أن ذلك من الله لا منك ، فلا تخدع بهذه المصادفة العاجلة ، فانه حين يبلغ حضرة « هولاكو خان » نبأ وفاتي سوف يغلي بحر غضبه وستغل سنايك خيل المغول البلاد من اذربيجان حتى ديار مصر ، وسيحمل المغول رمال مصر في مخالي خيولهم .

**قطز** : لا تفخر الى هذا الحد بفرسان « توران » فانهم يزاولون أعمالهم بالمكر والخداع ، لا بالرجولة والشهامة ..

**كتبوغا** : بادر بالقضاء علي بأسرع ما يمكن حتى لا أسمع تأنيبك .

فأمر قطز بقتله ، وطارد المسلمون فلول المغول ، وتشجع أهل دمشق فبادروا الى أسر من عندهم من المغول ، وبذلك كانت معركة « عين جالوت » نقطة تحول في تاريخ العرب والمسلمين مع المغول ■



# تقوى القلوب

للشاعر أحمد إبراهيم الفزاوي

به (الدنيا) تزخر ، وهي (زلق)  
بروعك ، ما تهادي ، وهو أخرق  
وبالنزوات ، فاجعة ، نضق  
بواده ، وتحذر ما تدفق  
ولكن شانه لوب ممزق  
الى ملاء به الحسنات تنفق  
عشية كل من في الأرض يزهرق  
نطبق ؟ ونحن بالطوفان نفرق  
وتخفى وهي تجمع ، أو تفرق  
سوى التوفيق ، والايمان أعمق  
وأثمار ، وأزهار ، وزنبق ؟  
وأفلاك ، وأصباح تفلق  
وذي بطش وطيش قد تمزق  
أخو ليلي وجرول ، والفرزدق  
وذي لب ومعتوه وأحمق  
على كره ويبقى وهو مرهق  
بما وصى به الوحي المصدق

هو (البرهان) لا نرتاب فيه  
فكم تلقى من الأشباح شخصا  
تباغت منه بالأخلاق تزري  
وتخشى ما اتصلت به قليلا  
وأخر مرتب ، بر ، تقى  
تجاذب روحه الأملاك تترى  
الى الفردوس ، وهي له خلود  
تعالى ربنا جدا ، وماذا  
مظاهر قدرة الله تبدو  
وما للعقل فيها من ظهير  
وكم بين النبات قتاد شوك ؟  
وفي الملكوت من جن وأنس  
ومن موسى وفرعون عتي  
وفي الشعراء بشار ، وقيس  
وكم في الناس من سود وبيض  
كذلك هو ابن آدم وهو يفتى  
وما «تقوى القلوب» سوى التواصي



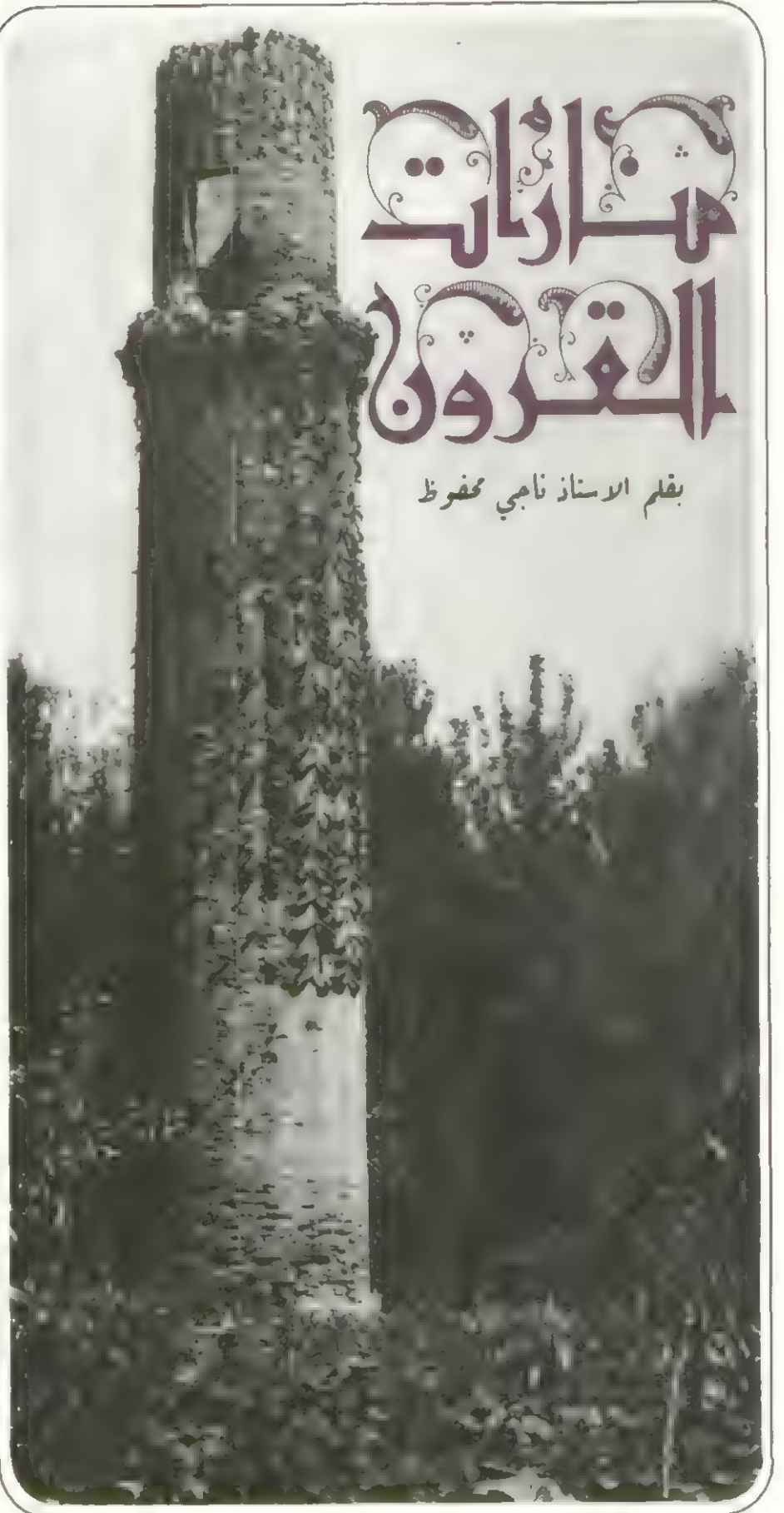
**المنارة** ، في الأصل ، موضع النور .  
 وتسمى الشمعة ذات السراج .  
 « بالمنارة » ، وهي لذلك ما يوضع فوقه السراج .  
 والمثدنة هي كل ما ارتفع عن الأرض واستعمل  
 كموضع لرفع الأذان . ثم أطلقت كلمة « منائر »  
 على « المآذن » ، ربما لأنها تنير القلوب بهدى  
 الايمان . واتخذت المآذن شكل المنائر في البناء ،  
 وانتشرت في بقاع الأرض بانتشار الاسلام ،  
 واختلفت أنماطها بين بلد وآخر . وكانت  
 المنارات تبني من الحجر أو الآجر أو الطين وهي  
 المواد نفسها التي كان استعمالها سائدا في بناء  
 العمران آنذاك .

ولكن المنارات - مع مرور الزمن - لم يقتصر  
 بناؤها على الأتارة أو رفع الأذان فقط ، وإنما  
 أخذت تستخدم كمنصب تذكارية ترمز لمناسبات  
 معينة . ومن هذه المنارات « منارات القرون » .  
 وأول من بنى منارة من هذا النوع ، في  
 الاسلام ، هو السلطان « ملكشاه » السلجوقي ،  
 وقد بناها في العراق ، قرب « الرجة » ، على  
 طريق الحج من الكوفة . وكان هذا السلطان مجبا  
 للصيد وماهرا في استعمال أدواته وآلاته ، حتى  
 قيل انه كان : « أرمى الناس ، فلم يخطيء قط ،  
 وأطعن الناس برمح ... » . وقد زار بغداد في سنة  
 ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) ، وخرج هو وجنده للصيد في  
 نواحي الكوفة ، فاصطادوا صيدا كثيرا بلغ  
 الألوف ، فأمر ببناء منارة من قرون الغزلان ،  
 بالسيمي قرب الرجة . فكأنه أراد بذلك إقامة  
 ذكرى لحادثة الصيد تلك ، ويقول البعض :  
 انه ربما اقتدى في ذلك بسابور بن أردشير ،  
 الملك الفارسي ، الذي بنى في قرية « اسفجين »  
 الواقعة في رستاق همذان ، « منارة الخوافر » ،  
 وكان ارتفاعها خمسين ذراعا في استدارة ثلاثين  
 ذراعا ، وهي مصممة بالكلس والحجارة ، وقد  
 ركبت حوافر الوحوش - التي اصطلحت لتخليص  
 المزارع من أذاها - من حولها في شكل منتظم بعد  
 أن سمرت بمسامير الحديد ، حتى كانت تبدو  
 وكأنها منارة من حوافر .

وقد عاشت منارة القرون قرونا عدة يشاهدها  
 الحجاج والرحالة ، ويصفونها في أحاديثهم عن  
 أسفارهم ورحلاتهم . ولعل الرحالة العربي « ابن  
 جبير » كان أكثر من أجاد وصفها ، فقد قال  
 عنها ، وقد شاهدها ضحوة السابع والعشرين من  
 شهر المحرم سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) . وهو في  
 طريقه من الحجاز الى العراق بعد أن أتم حجه :  
 « .. نزلنا ضحوة اليوم المذكور بمنارة تعرف

# منارات الغزلان

بقلم الاستاذ ناجي محفوظ



منارة « خوى » الأثرية الواقعة شمال غربي مدينة خوى التي تبعد عن العاصمة  
 الإيرانية طهران نحو ٧٧٧ كيلومترا، وهي مجللة معظمها بقرون غزلان مثبتة فيها .



العرب وخوزستان . وترك آثارا في أصفهان ونواحيها أينما وجد متصيذا .

## منارة شمس

وكما ان السلطان «ملكشاه» لم يكن أول من ابتدع هذه المنارات ، كذلك فانه لم يكن آخر من بنى هذا النوع من المنارات . فيوجد في إيران الآن ، شمال غربي مدينة خوى - التي تبعد عن العاصمة طهران بنحو ٧٧٧ كيلومترا منارة مبنية من القاعدة حتى القمة برووس الغزلان تعرف باسم «منارة شمس» . وقد كانت هناك سابقا منارة أخرى على غرارها ، وبين الالنتين قبة من الذهب على قبر شمس الملك . ولكن القبة واحدى المنارتين قد خربتا وزالتا أثر بعض الحوادث ، والمنارة الباقية قد سقط قسم من أعلاها وتخرّب حوضها ، ويسميا الناس «كله آهو» أي «رؤوس الغزلان» .

و «منارة شمس» هذه ايرانية الطراز ، فهي أسطوانية الشكل وليست مخروطية كمنارة القرون ، وذات حوض وسلم داخلي ، وقد ثبت فيها رؤوس الغزلان بحيث وضع بين كل بضعة طبقات رأس غزال أحكم تركيبه حتى ليخيل للرائي انه جزء من طبقات البناء .

ولم تعرف الأسباب أو الدوافع التي حدثت الى بنائها . ويرجع العلامة «علي أصغر حكمت» نسبة هذه المنارة الى «شمس الدين الجويني» وزير «أبقة خان» المغولي ، وقد قتل سنة (١٢٨٣ - ١٢٨٤ م) .

## منار كله

وفي العصر الصفوي بنيت في مدينة أصفهان منارة من هذا النوع أيضا ، كانت تسمى بـ «منار كله» ، وقد طغى اسمها هذا على الحارة التي بنيت فيها ، وقد بادت ، فلا وجود لها الآن . ووصفها الرحالة الذين شاهدوها ، ومنهم الرحالة العربي «العباس بن علي المكي الحسيني» الذي تحدث عنها في كتابه «نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس» ، فقال : «.. وأما حارة منار كله فانها نزهة الغريب الموله . ومعنى «منار كله» يعني منارة الرؤوس ، والحارة تنسب الى المنارة ، وطولها خمسون ذراعا . وكلها مبنية برووس الغزلان وأنواع الوحوش . وهي من عجائب الزمان في أصفهان . قيل أن الشاه

بمنارة «القرون» ، وهي في بیداء من الأرض لا بناء حولها ، قد قامت في الأرض كأنها عمود مخروط من الآجر ، وقد تداخل فيها من الخواتم الآجرية مشتمة ومربعة أشكال بديعة . ومن غريب أمرها انها مجللة كلها بقرون غزلان مثبتة فيها فتلوح كظهر الشبهم (١) ..

وأما «صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي» ، الذي يبدو وانه سلك ذلك الطريق وشاهدها أيضا ، فيقول : «.. بين كل آجرتين قرن أو حافر» . ويروي ابن الجوزي انه كان فيها (٤٠٠٠) رأس . ولا نعرف متى انهارت هذه المنارة واندثرت آثارها ، الا انها كانت لا تزال قائمة حتى في أوائل النصف الثاني من القرن الثامن الهجري ، اذ يقول عنها «ابن ابي حجلة» في كتابه «سكردان السلطان» الذي ألفه سنة ٨٧٥٧ (١٣٥٦ م) «انها باقية الى الآن وتعرف بمنارة القرون» . ولكن الكثير من الناس كانوا يسمونها بـ «أم القرون» كما ذكر الياغمي .

ومن ناحية أخرى نجد ان ابن سعيد المغربي (المتوفى سنة ٨٦٨٥ - ١٢٨٦ م) قد عين موقعها على الخارطة التي وضعها للعراق ، ولكن النسخة التي وصلت الينا من خارطته لم تسلم من تصحيف النساخ - على ما يظهر - فجاءت فيها باسم «منارة أم القرى» . وقد فات واضع أطلس «العراق في الخطوط القديمة» التنبيه أو الإشارة الى ذلك .

وقد ظل موضع هذه المنارة محتفظا باسمها حتى بعد أن زالت وانطست معالمها ، فعلى بعد حوالي ١٤ كيلومترا من الرحبة توجد منطقة تسمى حتى يومنا هذا بـ «أم كرون» ولا يعرف غالبية الناس اليوم سبب تسميتها بهذا الاسم .

## منارات «ملكشاه» اللغزيريت

لم تكن هذه المنارة هي الوحيدة التي بناها السلطان ملكشاه السلجوقي ، فقد بنى منارة أخرى في بلاد ما وراء النهر (٢) ولم يبلغنا من أخبار هذه المنارة شيء غير هذا .

ويذهب بعض المؤرخين الى ان هذا السلطان بنى منارات كثيرة ، فيقول حمد الله المستوفي : «انه صنع في ايران وتوران منارات كثيرة من حوافر الحمر الوحشية» . ويروي النيسابوري والراوندي عن الخاتوني : «ان السلطان ملكشاه أمر بأن يبنى في كل موضع وأرض ومتصيد في العراق وخراسان منارات من حوافر الغزلان وحمر الوحش ، وكذلك في ولاية ما وراء النهر وبادية

(١) الشبهم هو القنفذ

(٢) هي ما يعرف اليوم بجمهورية «أوزبكستان»

رسم تخيله الفنان لمنارة القرون التي شاهدها الرحالة العربي «ابن جبير» أثناء عودته من اداء فريضة الحج ، وهي مبنية من الطابوق وقد ثبتت فيها القرون



منارة «كله» وتعني منارة الرؤوس ، ويرجع عهد بنائها الى العصر الصفوي . وهي التي نسب المستشرق «شاردن» بناءها الى شاه سمعيل ، . ووصفها برحلة لعربي «العباس بن علي المكي الحسيني» بأنها نزهة الغريب الموله . ويبلغ طولها خمسون ذراعاً وكلها مبنية برؤوس الغزلان .

## منارة «الحيزان»

ويمضي بنا الحديث الى الكلام عن منارة أخرى من هذا القبيل هي «منارة الحيزان» التي بناها الامبراطور المغولي «جلال الدين أكبر» في مدينة «فاتلبور سينكري» ، المدينة الملوكية التي أسسها بنفسه في سنة (١٥٨٧هـ - ١٥٧٩م) ، وأراد أن تكون هذه المنارة تذكارا لفيله الحربي وأحسبه ذلك القيل الذي أحرز على ظهره النصر على خصمه «خان زمان» أحد القواد الكبار . فقد كان «أكبر» مشغولاً باخضاع ثورة البنجاب عندما خرج عليه هذا القائد ، فعاد «أكبر» الى شواطئ «كنكا» ، حيث كان خصمه يتحصن في الجانب الآخر ، وكان الموسم موسم فيضان وأمطار وسيول ، فكان «خان زمان» مطمئناً الى ان الامبراطور «أكبر» لم يستطيع الوصول اليه في مثل هذه الأيام . ولم يجد «أكبر» سفناً تنقله الى الجانب الآخر ، فألقى بفيله الى النهر وهو راكبه ، والأمرأ والقواد من حوله يعارضونه في هذه المجازفة الخطيرة ، ولكنه لم يبال ، وأخذ معه عدداً قليلاً من الجند فعبروا النهر ليلاً ، ولما أصبح الصباح هجم بجنده على القائد «خان زمان» ، فقتله وفرق جنده . ومنارة «الحيزان» مزينة بأنياب الفيلة التي غرزت فيها ، وهي مخروطية قليلاً ذات حوض وسلم ، وقاعدتها لم تزين بالأنياب ■



منارة الحيزان ، التي بناها الامبراطور المغولي «جلال الدين أكبر» في مدينة «فاتلبور سينكري» تذكارا لفيله الحربي الذي أحرز على ظهره النصر على خصمه «خان زمان» . وهي شه مخروصة ومردانة بأنياب الفيلة لغرورة فيها .

لأصفهان في أيام الشاه عباس الكبير سنة ١٦١٦م . ان نسبة هذه المنارة الى الشاه اسماعيل أو الشاه «طهماسب» لا يوجد ما يؤيده ، أما الشاه عباس فقد كان الصيد إحدى الهوايات المحببة اليه . فكان اذا ما فرغ من شؤون المملكة السياسية والادارية وغيرها مارس لعبة الصولجان . أو رمي «البرجاس» ، والصيد ، أو بعض الألعاب الأخرى . وكان يعد - علاوة على المصايد الصغيرة في أثناء أسفاره - مصائد كبيرة في كل سنة ، فيمضي عدة أيام في المتصيدات ، وكان يشترك في تلك الرحلات عدة آلاف شخص من القرى المجاورة للمتصيد . ولكثرة ما كان يساق من القرى والنواحي من حيوانات الى موضع الصيد فان عدداً كبيراً منها يقتل بحيث يصل هذا العدد أحياناً الى أكثر من عشرين ألفاً . فقد بلغ عدد ما اصطيده منها في إحدى المرات ٣٢ ألفاً . كان من بينها حوالي ٢٠ ألفاً من الغزلان والظباء والماعز الجبلي وأمثالها ، و ٦ آلاف ذئب وخنزير وحيوانات وحشية أخرى و ٦ آلاف غزال وطبسي . اذن فمن المحتمل جداً أن تكون «منارة كله» ثمرة إحدى المصايد الكبيرة أمثال هذه .

وقد ترك لنا المستشرق «شاردن» صورة لمنارة أصفهان ، يبدو منها أنها كانت مخروطية قليلاً ، وذات حوض وسلم ، وقد وضعت فيها الرؤوس كاملة .

«عباس الكبير» خرج يوماً الى الصيد فاصطيد له هذا القدر ، فأمر أن تبنى به هذه المنارة . وكانت زيارة المكي لأصفهان سنة (١١٣٢هـ - ١٧٢٠م) . ولكن المستشرق «شاردن» نسب بناءها الى الشاه «اسماعيل» أو الشاه «طهماسب» وسماها بـ «منار شاخ» ، فقد قال عنها : «من الأبنية العجيبة التي رأيته في أصفهان في محلة «دردشت» ، منارة في وسط ميدان هناك تسمى «منار شاخ» (٣) ، محيطها ٢٠ قدماً . وارتفاعها ٦٠ قدماً ، ومن أسفلها الى أعلاها جماجم الغزلان والقنص الجبلي نصبت بين الجص والنورة . والمعروف ان الشاه «اسماعيل» أو الشاه «طهماسب» في أحد مصايده في «هزار دره» قرب أصفهان قد طارد هو والصيدون الصيد من ٢٠ فرسخاً ووصلوا الى هناك ، وقد صادوا من الكثرة ما أمر الشاه أن تصنع من رؤوسها منارة . وقد بنى المعمار الذي أمر بهذا ، تلك المنارة في ثماني ساعات .

ان كلام المستشرق «شاردن» هذا قد يوهم بأنه يتحدث عن منارة أخرى في أصفهان . ولكن لم تعرف فيها ، في ذلك العصر ، الامانة واحدة . ويتفق ما كتبه السائح الايطالي «بيي برودلاواله» عنها مع ما ذكره المكي ، فقال : «في أصفهان منارة يسمونها (منار كله) بنيت من رؤوس الماعز الجبلي الذي اصطيده في يوم واحد من الشاه أو أحد المتسوين اليه ..» . وكانت زيارته



# أخبار الكتب

• ظهرت دراسات أدبية جديدة ، منها : « التركيب اللغوي للأديب » ، وهو بحث في فلسفة اللغة وجمالياتها للدكتور لطفي عبد البديع ، و « السيرة : تاريخ وفن » للدكتور ماهر حسن فهمي ، و « الفلسفة الاجتماعية عند العقاد » للأستاذ عبد الفتاح الديدي .

وتصدر قريبا للأديب السعودي الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار دراسة عنوانها « صديقي العقاد » تشمل جوانب شخصية وعامة من حياة هذا الأديب العملاق الراحل .

• في باب التراجم والسير ظهرت طائفة من الكتب ، منها : « سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة » للأستاذ عمر عبد الجبار ، و « الدكتور محمد حسين هيكل : حياته وتراثه الأدبي » للأستاذ طه عمران وادي ، و « شخصيات عربية معاصرة » للأستاذ إبراهيم البعشي ، و « ابن باديس : حياته وآثاره » وهو في ٤ أجزاء من تأليف الأستاذ عمار الطالب وقدم له الأستاذ مالك بن نبي . كما يصدر للأستاذ أنور الجندى كتاب عن الأعلام عنوانه « الجيل في أعلامه » .

• من الدواوين الشعرية الجديدة التي ظهرت مؤخرا « تسابيح » للأستاذ علي الجمبلاطي ، ومسرحية شعرية عنوانها « سولار » للأستاذ محمد الفيتوري ، وطبعة ثانية من ديوان « حيرة » للأستاذ ماجد الحسيني .

• ظهر للعلامة الراحل الدكتور أحمد فؤاد الأهواني كتاب نفيس عنوانه « المعقول واللامعقول » تناول فيه تناولاً أخلاقياً واجتماعياً وفلسفياً ظواهر السلوك الانساني ، ما كان منها سوياً وما كان شاذاً غير معقول .

• من بين الكتب التي تبحث في الأدب الروائي ظهرت هذه الطائفة : « المجيدي الضائع والحاجة فلحة » وهو مجموعة أقاصيص للأستاذ محمد سعيد دقتردار ، و « تمضي الأيام » وهو مجموعة أقاصيص للأديبة سميرة بنت الجزيرة العربية ، و « قصص عصرية من الهند » ترجمها

الأستاذ خليل جرجس خليل ، و « يوم عاد أبي » مجموعة أقاصيص للأستاذ رشاد دارغوث ، و « مجموعة سعيد تقي الدين » ، وهي المجموعة الروائية الكاملة لهذا الأديب الراحل ، و « خمس جرائد لم تقرأ » وهي مجموعة أقاصيص للأستاذ مجيد طوبيا . كما ظهرت روايتان للأديب المهجري الأستاذ أنيس بقله هما « جوزفين » و « الوجه الداخلي » ، ورواية « سفينة الموتى » للأستاذ إبراهيم الناصر ، ومسرحية « الاسكندر المقدوني أو قصة مغامرة » تأليف تيرانس راينجان وترجمة الأستاذ محمد كامل كمالى ومراجعة الدكتور محمد سمير عبد الحميد .

• من الدراسات الاسلامية المختلفة التي ظهرت أخيراً « مواقف اسلامية » للدكتور عبد العزيز كامل ، و « المجتمع الاسلامي » للدكتور مصطفى عبد الواحد ، و « الاسلام شريعة الله الخالدة » للأستاذ عبد العظيم منصور ، كما يصدر للأستاذ أنور الجندى كتاب « أصالة الفكر الاسلامي في مواجهة الغزو الثقافي » .

• صدر للأستاذ محمد قنديل البقلي كتاب كبير بعنوان « وحدة الأمثال العامة في البلاد العربية » جمع فيه طائفة غير قليلة من الأمثال المتشابهة في الأمصار العربية المختلفة .

• حقق الدكتور حسن حبشي كتاب « مضمار الحقائق وسر الخلاق » لمحمد بن تقي الدين الأيوبي .

• من الكتب الطبية والنفسية صدرت هذه المجموعة : « التحليل النفسي للأطفال » من تأليف آنا فرويد وترجمة الأستاذ محمد كامل النحاس ، و « يوميات طبيب » للدكتور صبري القباني ، و « الكولسترول » تأليف هنري باشيكو وترجمة الدكتور يوسف جورجى جبرائيل ، و « أسرار الحياة » تأليف أناتولي شفاتر وترجمة الأستاذ زكريا فهمي .

• أصدر المجمع العلمي العراقي كتباً عن فقيده الراحل « الدكتور مصطفى جواد » يتضمن سيرة حياة هذا العالم الجليل والكلمات التي ألقيت في حفل تأبينه .

• ترجم الأستاذ وديع عبد الله قسطون كتاب « الافرنج في حلب في القرن الثامن عشر » الذي وضعه طيبان شقيقان هما الأخوان « رسل » . وقد علق عليه بشروح مسهبة وزوده بطائفة من الصور التاريخية الفنية ، وكتب مقدمة الكتاب الأستاذ عبد الله يوركي حلاق .

• في الفنون صدر كتابان هما « تاريخ العمارة والفنون الاسلامية » للدكتور توفيق أحمد عبد الجواد ، و « الجزء الثالث من كتاب « قصة الفن التشكيلي » للأستاذ محمد عزت مصطفى وقد تناول فيه عصر النهضة .

• ترجم الأستاذ محمد منير موسى كتاب « المستشرق كراتشكوفسكي المعنون « مع المخطوطات العربية » الى اللغة العربية .

• أصدر الدكتور أحمد محمد عون كتاباً جديداً بعنوان « الأزهر في ألف عام » .

• أصدر الأستاذ حسن عبد الشافي كتاباً نافعا لأمناء المكتبات موضوعه « الاعداد الفني للكتب في المكتبات .. الفهرسية والتصنيف » .

• في المحاسبة ظهر كتاب « نظرية الاثبات في المراجعة » للأستاذ شوقي رياض إبراهيم وكتب مقدمته الدكتور متولي محمد الجمل ■

## كتب مُنداة

حظيت مكتبة القافلة مؤخراً بهذه المجموعة من المؤلفات :

• « كلمات متناثرة » للأستاذ عبد الله الحمد الحقيقل .

• « الانسان » و « وهج الشباب » و « جلنار » وهي ثلاثة دواوين للشاعر ابراهيم خليل الغلاف .

• « رحلة الى الأندلس » للأستاذ ناجي جواد .



مقاومة الكتب

أربعة أيام من عمل العرب

# عبد المحسن الكاظمي



تأليف : عبد القدوس الانصاري

عرض وتعليق :

الاستاذ عبد العزيز الرفاعي

تميزت

المكتبة المحلية الآن في المملكة العربية السعودية ، عن ذي قبل ، وتتبع حركة التأليف فيها ، وهي حركة ، أرى أنها تستحق الترحيب والتشجيع من قبل النقاد ما وسعهم الى ذلك سبيل . كما أرى أن من حق المؤلفين على النقاد ، أن لا يلتبسوا في انتاجها الكمال ، وأن يكتفوا بما فيها من نوى طيبة ، تدل على ان الركب يسير في الاتجاه الصحيح . ويسهم أدباء الرعيل الأول بنصيبهم في انعاش المكتبة المحلية ، ولطواء أصالتهم الأدبية ، وخبراتهم ، واتساع آفاقهم الثقافية . ويبدو لي ان القراء عندنا أكثر تطلعا وتلهفا الى نتاج هذا الجيل من الأدباء ، اذ طالما نادت الصحف بأن يضطلع هذا الجيل بدوره كاملا في انهاض الحركة الثقافية والفكرية في البلاد .

والاستاذ عبد القدوس الانصاري ، وهو في مقدمة هذا الرعيل ، يمتاز ببخسه الأدبي ، سواء عن طريق مجلته التليدة « المنهل » أو عن طريق مؤلفاته المتعددة التي كان من أحدثها هذا الكتاب الذي نحن بصددده ، والذي يمثل حصدا أربعة أيام فحسب ، هي أيام فترة العيد قضاهها الأستاذ المؤلف مع الشاعر « عبد المحسن الكاظمي » .

ولعل مما يضيف أهمية خاصة على هذا الكتاب ، ان هناك نوعا من التعايش الفكري بين المؤلف والشاعر ، فقد كان الكاظمي أحد الشعراء العرب الذين كانت لهم شهرتهم في أنحاء العالم العربي ، وذلك في الفترة التي كان فيها الأستاذ عبد القدوس الانصاري ومعاصره يشقون في صمود ، طريقا للأدب في المملكة العربية السعودية .

أربعة أيام أنتجت هذا الكتاب ، تلك حقيقة وصفها المؤلف نصب عيني كل قارئ ، ولعله عني بها النقاد قبل القراء ، ولذلك لم أستطع وأنا أعير صفحات الكتاب وفصوله ، أن أغفل هذا الاخطار المسبق ، وبالتالي لم أستطع أن أتخلى عن التماس العذر للمؤلف ، كلما وقفت وقفة تأمل طويلة ، عند فصل أو رأي ، متمنيا ان لو كان غيره محله ، فما أعتم أن أقول : أليس هذا الكتاب حصيلة أربعة أيام فقط .. ؟

لقد تجاوز حجم الكتاب حدود المائة صفحة من الحجم الكبير ، وحفل بالكثير من الفصول المتنوعة ودل على جهد ملموس ، اذ رجع فيه المؤلف الى تسعة عشر مرجعا ، بينها عدد من المراجع الرئيسية ، وهو جهد ولا يمكن التغاضي عنه .

صحيح

ان هناك تعايشا فكريا بين جيل الأستاذ الانصاري ، وجيل الشاعر الكاظمي ، وان الكتاب ذاته دلنا على ان الأستاذ الانصاري ، قديم الاعجاب بالكاظمي ، فهل يسوغ لي لطول الصداقة الفكرية بين الأديبين ، ان ازعج ان هذا الكتاب لم يكن حصدا أربعة أيام فحسب ، بل هو حصدا أعوام عديدة ، أنعقدت فيها أواصر الصداقة الفكرية بين الأديبين ؟ كان حتما اذن ، أن يعطينا الأستاذ الانصاري هذا الكتاب ، بعد طول اختبار وانتظار ، ولا ضير علينا بعد ذلك أن نضعه في أربعة أيام ، فقد تجمعت مادته ، وفكرته ، وعناصره في سنوات طوال .

ومع ذلك فسأظل أذكر ، وأنا أدرس الكتاب اليوم ، انما كتب على عجل ، وفي أربعة أيام فقط . وحسبنا ما قاله المؤلف بين يدي الكتاب « هذه دراسة عابرة .. لا أقول انها كاملة وشاملة لكل نواحي شاعرية شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي ، ولا لحياته ، ولكني أقول : انها تعطي ملامح عن شاعريته وعن حياته ، وببسته التي عاش بها » .

اذن ، حسبي أن أجد في هذه الدراسة العابرة ، عطاء فكريا جديرا بالتقدير ، وفصولا جيدة كهذا الفصل الذي أجده في صفحة (٩) بعنوان « خيوط من الشعر القديم في شعر الكاظمي » ، الذي تناول الألفاظ التي تربط شعر الكاظمي بالشعر العربي القديم ، وتشف عن تأثيره به تأثرا كبيرا . كما أشار - في اقتضاب - الى التعابير والتشبيهات المفضلة عند الكاظمي .

ومن الفصول الجيدة التي تدل على تأمل وعمق ، فصل « وصف الكاظمي » ، ص ١٠١ ، فقد كشف عن ناحية هامة ، هي ان الكاظمي لم تكن تستثيره الناحية الجمالية في الكون والطبيعة ، فلم يهتم بوصف شيء منها ، على الرغم من أنه نشأ في بلاد الرافدين ، وعاش على ضفاف النيل ! أو بتعبير آخر ، ان شيئا من هذا القبيل لم يبد على شعره .

ومن الفصول الجيدة أيضا « الصديق الأثير » وهو يتحدث عن الصداقة المثينة التي كانت تربط بين الكاظمي ، والشيخ « علي يوسف » صاحب جريدة « المؤيد » ، كما يتحدث عما تعرضت له هذه الصداقة أحيانا من عوارض ، كدورت بعض صفاتها . ويورد شواهد الشعرية في الحالتين . ولهذا الفصل علاقة بفصلين آخرين وددت أن



لو ضمت الثلاثة بعضها الى بعض لتمثل بحثا عن العلاقات الانسانية عند الكاظمي ، فهناك فصل « أليف مألوف » ص ٤٧ ، وآخر « وفاء الكاظمي » ص ٩٨ ، وقد تحدث الأستاذ الأنصاري في الأول عن صديقي الكاظمي الأثيرين ، « عبد القادر المغربي » و « سليم سر كيس » ، وهو فصل مقتضب جدا ، ومع اقتضابه ، فقد استنتج فيه المؤلف ، ان الكاظمي ، كان عارم النفس ، سريع الغضب ، واستشهد بالقصيدة العتائية التي وجهها لصديقه « علي يوسف » ، ولكنه لم يفصل القول عن هذه القصيدة ، ولا عن الصداقة التي كانت تربط بين الكاظمي وبين « علي يوسف » الا بعد ذلك بفصلين ، حينما تحدث عن « الصديق الأثير » . ولعل « علي يوسف » كان يتمتع بمنزلة دونها منزلة صديقين أثيرين آخرين هما : المغربي ، وسليم سر كيس .

**فصل « وفاء الكاظمي »** فانه يشير الى صداقة الكاظمي ، لكل من « علي يوسف » و « سليم سر كيس » ، وان كان يضيف اليهما هنا أصدقاء آخرين . وهذا الفصل هو الآخر على جانب من الاقتضاب . وعلى أي حال ، فهذه ناحية تنسيقية محضة وليست صميمية .

ولقد كان فصل « ذكريات الوطن الأول » من جياذ الفصول ، عدا عن كونه من أمتعها . فقد لمس فيه المؤلف جانبا انسانيا عند التنازع ، الذي فارق بغداد الى مصر ، التي اتخذها وطنًا ثانيا ، مخلفا الى جوار الرفادين ذكريات صباه وشبابه . وقد أجاد المؤلف اختيار شواهد على ظاهرة الحنين هذه ، وهي من أعمق العواطف الانسانية ، ومن أكثرها اثارة للشعراء . وقد أعجبني قول الكاظمي :

**قالوا : سلا أوطانه**

**وأخو الصباية ليس يسلو**  
**ذكراك يا وطن الصبا**  
**ذكراري أرحل أم أحل**  
أما الأبيات التي أوردها من قصيدة « قافية » ، « ألا خبر من ثنايا العراق ؟ » فان في بعض ألفاظها غرابة .. وان راق بعضها كقوله :

**هل الدار بعدي كعهدي بها**

**يباكرها المعارض المغدق ؟**  
ومن ناحية تنسيقية أيضا وددت ان لو ضم هذا الفصل عن حنينه الى وطنه الأول ، الى فصل آخر ، جاء في أخريات الفصول بعنوان « اندماج الكاظمي في مصر » ، فان بين الفصلين ترابطا وثيقا . ولو ان قارئنا تصفح الكتاب ، فقرأ الفصل

الأخير ، دون أن يطلع على الأول ، لظن ان الكاظمي ، قد انبت عن وطنه تماما ، فلم تعد تربطه به عاطفة الحنين . أما القارئ المنتبج فقد يظن في بادىء الأمر ان بين الفصلين تعارضا ، ولكن تتنفي شبهة التعارض ، لأن اندماج الكاظمي في وطنه الجديد ، لا يتنافى مع حنينه الى وطنه الأول ، وأحسب ان لو ضم الفصلان في بحث موحد لوجد المؤلف الفرصة سانحة ، للحديث عن هذه النقطة بالذات .

وما يتصل بالتنسيق أيضا ، فصل « قضت الصباية » ص ٤١ ، فهو من صفحة واحدة لا غير ، وكنت أفضل أن يكون هناك فصل خاص بمذاتحه ، يضم ما قاله في محمود سامي البارودي ، وفي سعد زغلول ، ومحمد عبده ، وغيرهم .

\*\*\*

**هما** يكن الأمر فقد بذل الأستاذ الأنصاري جهدا قيما ، وفي وقت وجيز جدا ، لاعداد هذه الدراسة العابرة الطريفة . وكان من حصيلته فيها فصول جيدة ، كما أسلفت ، وهي حسنا كسا . واذا كنت أطمع في أن تكون لهذه الدراسة طبعة ثالثة قريبة المدى ، فاني أرجو أن تتناول جوانب أخرى من البحث لم يتطرق اليها المؤلف الفاضل ، أو تطرق الى بعضها في شيء من الإيجاز .

وعلى سبيل المثال ، أذكر وقفات يسيرة وقفت عندها ، وتمنيت أنه لو وجدت الجواب على تساؤلاتي :  
• في فصل « شاعر العراق » جانب من ترجمة حياة الشاعر ، كما أوردها « رفايل بطي » الذي أطلق عليه لقب « شاعر العراق » ، ترى هل كان الكاظمي شاعر العراق حقا في جيله ذاك الذي كان العراق يغص فيه بمشاهير من شعرائه ؟ كنت أود أن يتعرض الأستاذ المؤلف ، لهذه النقطة ، ولو بالإشارة العجلى .. الا ان كان يقر رفايل بطي « على اطلاق هذا اللقب ؟ .. »

وجدير بالذكر أن المؤلف نفسه أشار في ص ١٣ ، الى أن الصحافة أطلقت لقب « شاعر العراق » على الزهاوي فأيهما كان شاعر العراق بحق ؟ أو أي شعراء العراق كان أحق بهذا اللقب ؟ .  
• ظاهرة الانسجام والسهولة والامتناع التي تحدث عنها الأستاذ المؤلف في ص ٣٤ في فصل « ذكريات الوطن الأول » ، فقد قال عن السهولة لدى الكاظمي :

« وهي سهولة محببة يمتاز بها عن سواه من شعراء عصره كل الامتياز ، لقد بلغ فيها الذروة ، وفاق البهاء زهير ، ولم يصل الى مستواه فيها لا « محمد حافظ ابراهيم » ، ولا « خليل مطران » ولا « الأخطل الصغير » ..

هل يسمح لي المؤلف الفاضل بأن أشك في هذا ؟ لا ، لأن الأستاذ الأنصاري لم يعقد مقارنات بين ظاهرة السهولة عند الكاظمي ، وبين الآخرين ممن عدا . فهذا المطلب ، على أهميته لا تتسع له دراسة عجلى ، وانما لبعض ما هو مشهور عن شعر البهاء زهير ، الذي يجري كالماء انسيابا ، ولأن حافظ ابراهيم كان يضم الى السهولة وضوح المعنى ، وانسياق الطبع ، وحسن اختيار الألفاظ ، وهذه الظاهرة الأخيرة اعني حسن اختيار الألفاظ ، لا تتوفر عند الكاظمي توفرها عند حافظ ..

أما الأخطل الصغير ، فلا أضعه في هذا الصف ، ذلك لأنه من شعراء المعاني .

• عقد المؤلف فصلا عن المقدمتين اللتين حظي بهما ديوان الكاظمي الثاني ، بعنوان « مقدمتان للديوان » ، ولكن معظم هذا الفصل كان عن مقدمة الديوان الأول ، وهي للعقاد . أما الحديث عن المقدمة الثانية وهي لرؤفائيل بطي فقد جاء في فصل تال بعنوان « شاعر العراق » ، وبغض النظر عن الناحية التنسيقية في الموضوع ، فقد كان بودي ، ان لو عقد الأستاذ المؤلف مقارنة بين المقدمات الثلاث ، وأعطى رأيه في كل منها .

• وشاعر العرب ، هذا القلب الذي أطلق على الكاظمي ، كما أطلق على فؤاد الخطيب ، ما تاريخه ؟ وكيف أطلق ؟ ومن أطلقه ؟ موضوع طريف ليت أستاذنا عالجه .

**بعد** ، فقد تركت هذه الدراسة الطريفة في نفسي أثرا طيبا ، وامتنعتني بالحديث عن تاريخ جدير بالخفاوة ، ونقلني الى أجواء شعرية جميلة ، عن طريق نماذج جيدة من شعر الكاظمي ، كقوله :

**ولقد حسبت أحبتي**

**فوجدتهم كثرثوا وقلوا**

**وذكرتهم في حين قد**

**نسي الوداد أخ وخل ..**

وكان من مكاسبها عندي ، ان ردت شاعرا قديما كالأستاذ الأديب الباحث « محمد سعيد العامودي » ، الى الشعر ، فجاءت قصيدته في مقدمة الدراسة في تحية الكتاب والكاتب الكبير جميلة رائعة ■



# خط القطيف - بقيق رستم هـ

## السلوك الجديد في رسم خطوط الأنابيب

شرعوا بالعمل فيه على مراحل مجزئة ، مبتدئين من نهايته في ملتقى الخطوط . فكلما أنجز تمديد جزء منه ، ربط ، بواسطة وصلة ، بخط القطيف - بقيق رقم « ٤ » المحاذي له . وبهذه الطريقة يتحوّل قسم من الزيت المتدفق في خط القطيف - بقيق رقم « ٤ » إلى ذلك الجزء من خط القطيف - بقيق رقم « ٥ » الذي تم تمديده وربطه .

وهذه الطريقة التي اتبعت في انشاء خط القطيف - بقيق رقم « ٥ » لها ميزات خاصة نافعة ، لأنها تجعل كميات الزيت المتدفقة في أنبوب واحد تجري في خطين ربط أحدهما جزئياً بالآخر . وهذان الخطان ، اللذان ربط أحدهما جزئياً بالآخر ، يكونان أكثر قدرة لنقل شحنة واحدة من الزيت بدلا من خط واحد ، لأن الاحتكاك الناتج عن حركة جريان الزيت يتوزع بينهما ، مما يؤدي إلى تخفيف الضغط المضاد في مركز الضخ ، وجعل المضخات قادرة على ضخ كميات أكثر من الزيت خلال جميع الأنابيب القائمة .

تم تمديد الخط الجديد الذي يتراوح قطره بين ٤٠ و ٤٢ بوصة تحت الرمال مسافة ٤٢ ميلا بين بقيق وملتقى خطوط الأنابيب في القطيف ، التي تربط حقول الانتاج في أرامكو بمعمل التكرير وفرضة الشحن برأس تنورة . وكان الخط يمد على مستوى تكوينات الأرض الطبيعية بطول الطريق ، وعندما تصادف منعطفات أو التواءات في الطريق يتم حني أوصال الأنابيب حالا بواسطة معدات هيدروليكية لتمشي مع طبيعة تكوينات الأرض . ويعتبر الخط الجديد ، القطيف - بقيق رقم « ٥ » ، من أكبر خطوط الأنابيب ، من حيث القطر ، التي أنشأتها أرامكو حتى الآن

عيسى مسلم

التطور في عمليات الزيت من حيث حفر آبار جديدة ورفع طاقة الانتاج والطلب على نوعيات المنتجات يدعو ، على الدوام ، إلى مزيد من التوسعات والاضافات في المنشآت والمرافق . وتجري هذه التوسعات أو الاضافات عادة ضمن برامج مخططة توضع باستمرار لتواكب هذا التطور . ويتم تنفيذ هذه البرامج على مراحل مختلفة حسب مقتضى الحاجة .

لقد حفرت شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) المزيد من الآبار المنتجة للزيت في حقل بقيق والغوار ، وقد رافق ذلك اجراء توسعات في شبكة خطوط الأنابيب وتركيب مضخات أكبر لايصال الزيت إلى المستهلكين . فبالاضافة إلى الخط الأولي ، القطيف - بقيق رقم « ١ » ، البالغ قطره ٣٠ بوصة ، والممتد بين بقيق وملتقى خطوط الأنابيب في القطيف ، أضيفت ثلاثة خطوط متوازية لمحاذاته ، وأصبحت شبكة الأنابيب بين القطيف وبقيق بذلك تتألف من أربعة خطوط . لكن على الرغم من اضافة هذه الخطوط الثلاثة ، بقيت هنالك مشكلة قائمة . فبينما استمرت الكميات المنتجة من الزيت الخام تزداد ، لم تكن هذه الزيادة كبيرة إلى حد يبرر انشاء خط اضافي جديد . وفي الوقت نفسه لم تكن الخطوط الأربعة الموجودة كافية لنقل المزيد من الكميات المنتجة وتحمل ضغط أكثر .

بيد أن مهندسي خطوط الأنابيب استطاعوا إيجاد وسائل للتغلب على مثل هذا النوع من المعضلات ، وقاموا بتطبيقها على طول الطريق بين بقيق وملتقى خطوط الأنابيب في القطيف . فبدلا من انشاء الخط الخامس ، وهو خط القطيف - بقيق رقم « ٥ » ، وانجازه دفعة واحدة ،